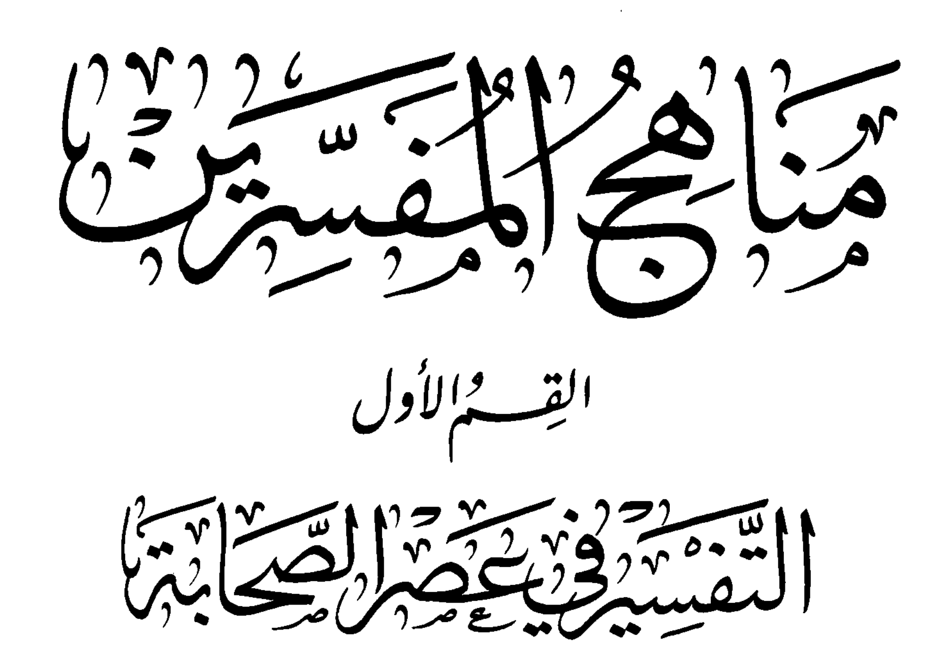
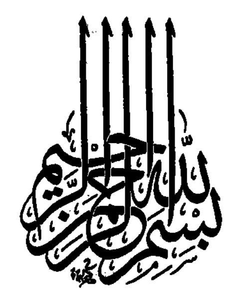


إعداد

د. مصطفى مسلم

هذا الكتاب من منشورات جمعية علماء كردستان
وريعه عائد للجمعية






مناهج المفسرين
القسم الأول
التفسير في عصر الصحابة

الطّبعَة الأولى ١٤١٥هـ

دار المسلم للنشر والتوزيع
الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب : ١٧٣٥٦ - هاتف : ٤٠٥٤٠٥٩

المقـــدّمَة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينـه ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، مـن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هـادي له ، وأشهـد أن لاإله إلا اللـه وحده لاشـريك له وأشـهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ .[آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعـلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد كـان اهتمامي بمـناهج المفسـرين قديماً بحـكم عملي وصـلتي بالقرآن الـكريم وعلومه وتفسيـره والدراسات حوله . فكثيـرًا ماواجهت سؤالاً من بـعض العامـة : ماأحسن تـفسير وأسـهله فهـماً للرجـوع إليه لمعرفة معاني الآيات التي لايتبادر مـعناها إلى الذهن ؟ ! وكان كثير من طلاب العلم يقولون : إنه بصدد تكوين نواة مكتبة علمية خاصة به وبما

أن الإمكانات المادية محدودة فبأي التفاسير تنصح ليكون في مكتبتي ؟ ! .

وكان الأمر يعرض على وجه آخر أحيانا ، فهناك المناهج التعليمية والمقررات الدراسية في المعاهد العلمية والكليات المتخصصة تحتاج إلى الكتاب المقرر ليكون بين أيدي الطلاب ، والمرجع المعتمد الذي يرجعون إليه عند الحاجة إلى التوسع .

كل ذلك كان يستدعي تقديم تعريف بأهم كتب التفسير ومناهج المؤلفين لها وبيان القيمة العلمية لكل كتاب .

وخلال تدريسي لمادة التفسير في المرحلة الجامعية في كلية أصول الدين ومرحلة التخصص لاحظت انقطاع الصلة بين الطلاب وبين كتب التفسير . فكثير منهم لايعرف سوى تفسير فتح القدير للشوكاني باعتباره المرجع المعتمد للمقرر في الكلية .وتفسير القرآن العظيم لابن كثير باعتباره الكتاب المتداول بين العامة والخاصة .

وقد يحفظ بعضهم أسماء كتب التفسير مثل تفسير الطبري والرازي والقرطبي ولكن دون أن يعرف عنها شيئاً ، فضلاً أن يكون على دراية بمناهج المؤلفين فيها ويملك القدرة على فهم عباراتهم في كتبهم ، وتحليل تراكيبهم والتعرف على مراميهم عند مناقشة القضايا القرآنية .

ولعل جانباً من التبعة يقع على أسلوب الدراسة والتدريس في مدارسنا وجامعاتنا في العالم الإسلامي ، حيث تخلينا عن المنهج الإسلامي في التلقي عن شيوخ العلم من خلال الكتب المعتمدة لهذا

الفن ، لمعرفة أسراره من خلال عبارات أرباب هذا الشأن . تخلينا عن ذلك ، وقلدنا المناهج الدخيلة إلى مؤسساتنا التعليمية واتبعنا طريقة المحاضرة ، حيث يبسط المحاضر المعلومات للطالب ويجعلها لقمة سائغة يتلقاها الطالب وهو بين النائم والمسترخي . وربما أعطاه المحاضر في نهاية المحاضرة أو في بدايتها أسماء بعض المراجع ، التي قلما يرجع إليها الطالب بل يكتفي بالوريقات التي دوّن فيها المحاضر معلوماته أو رؤوس العناوين التي كانت مجال الحديث .

وإن كان المحاضر من الحريصين على ربطهم بالمراجع الأصيلة ولم يعطهم تلك الوريقات أو ما يطلقون عليها اسم - المذكرات - أو لأن نظام الجامعة يمنع إعطاء المذكرات كان التحايل عليه من قبل الطلاب بتسجيل محاضراته على أشرطة ثم تفريغها ، أو تدوين المعلومات من قبل أحد الطلبة المهرة في سرعة الكتابة ثم تكون هذه المذكرة المرجع الأول والأخير بين أيدي الطلبة . وإذا كان الأستاذ من الحريصين على مادته ولم يغيّرها بين الفينة والأخرى ، بقيت هذه المذكرة بين أيدي الأجيال من طلاب الكلية .

كل هذه الأسباب وغيرها دفعتني وبعض الإخوة في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، أن نفكر بطريقة نلزم فيها الطلاب بالرجوع إلى أمهات كتب التفسير ، لمعايشة عباراتها وأساليب مؤلفيها ، وبذل الجهد الشخصي للتعرف عليها وتحليلها وإدراك مراميها .

فكان اقتراح وضع مادة (مناهج المفسرين) ضمن مقررات

التخصص في كلية أصول الدين وسرعان ماتبناه القسم ، ووضع المقرر وفقراتـه . ولكن التطبيق أثار مشكـلات جديدة ، فبين أيـدي الطلاب مذكرات للأساتذة الـتي شرحوا فيها مناهج المفسـرين ، كما أن كتاب (التـفسيـر والمفـسرون) للـدكتور مـحمد حـسين الـذهبي ، وكـتاب (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عـشر) للدكتور فهد الرومي ، غطى جانباً يـسيـرًا من هذا الأمـر . وبقـيت الـصلـة مقطـوعة بـين الطـالب والكـتاب المرجع الأسـاسي.حاولنـا أن يكلـف الطالب بـتقديم اختـبار شفـوي في نصـوص يحددهـا أستـاذ المادة من كـل كتاب ، أو تـكون درجات الأعمال الفصلية على ذلك .

إلاّ أن صعـوبة الـتطـبيـق كانـت العـائق فـي كل ذلـك .وفوجئت بتكليفي بتدريس هذه المـادة عام ١٤١٢هـ . وكأن القائمـين على أمر القسم أرادوا أن يـحملوني المسئـولية باعتباري أول مـن اقترح وتحمّس لإدخال هذه المادة في المقررات .

وفي هـذه الصـفحـات أحاول أن ألـبي - بـقدر الإمـكان - هـذه الرغبات ، وأن أجيب على تلك الاسـتـفسارات ، وأن أفيد طالب العلم الراغـب في الفائـدة وأربطه بـأمهات كتـب التفـسير من خـلال نماذج مختـارة منها تـارة ، ومن خلال إحالـته إلى مواطـن فيها تـارة أخرى ، ومن خـلال متطلـبات شفويـة وكتابيـة يقوم بتـحضيرهـا أثناء الفـصل الجامعـي . ولا أزال أقول وأكرر في كل مجـلس وعلى كل منـبر أصل إليـه أن يعاد الـنظـر في طرق الـتدريس لـلعلـوم النظـرية ، فـإن علومـنا ومعارفنا جزء من ديـننا ، وأسلوب تلقيها ينبغـي أن يكون أسلوبًا تربويًا إسلاميًا يـعتمد علـى التلقي والمـعايشة ، وكان سـلفنا يقـول : إن هـذا

الأمـر دين فانظروا ممن تأخذون دينكم .

والله أسأل أن يوفقني وإخواني العاملين في مجال خدمة كتاب الله تعالى إلى ما يحبه ويرضاه ، وأن يجعل مانقوله ونكتبه لنا لاعلينا . وأن ينفع بذلك المسلمين ، إنه سميع مجيب .

والحمد لله رب العالمين .

كتبه

مصطفى مسلم

تمهيد
في نشوء علم التفسير وأطواره

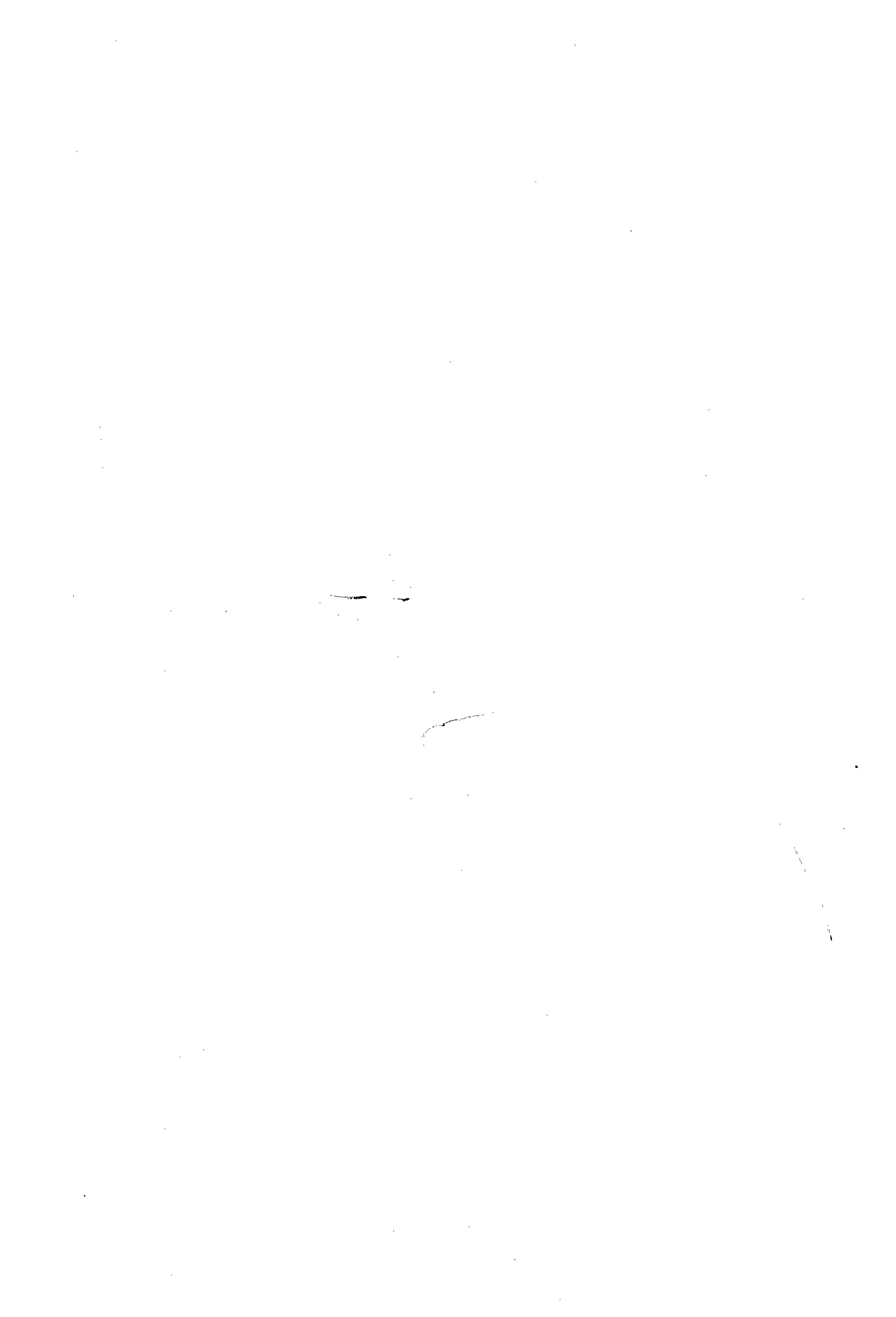
*** في عصر الرسول ﷺ .**

*** في عصر الصحابة .**

ظهور المدارس التفسيرية في هذا العصر ، وأبرز رجالها.

*** في عصر التابعين .**

توسيع دائرة التفسير ، ووجود نواة التفسير بالرأي ، المدارس التفسيرية في هذا العصر وأبرز رجالها .



١ – تعريفات

مناهـــج المفسـريـن

قبل البدء بذكر نشوء علم التفسير وأطواره ، لابد من وقفة مع تعريف المصطلحات التالية :

– التفسير ، منهج ، المفسر

– **التفسير** : لغة مصدر فسّره بتشديد السين ، مأخوذة من الفسر بمعنى البيان يقال : فسرت الكتاب بالتخفيف والتشديد أفسّره تفسيراً ، يقول الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٢] .

وقيل إنه مقلوب من السفر بتقديم الفاء على السين ، والمعنى واحد فإن مادة السين والفاء والراء تدور حول معنى الكشف والتوضيح والبيان (١) .

وفي الاصطلاح : علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

---

(١) يقول ابن فارس : الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه . انظر معجم مقاييس اللغة ٤/٥٠٤ .

مناهج المفسرين :

هو مركب إضافي ، ولتعريف هذا المصطلح لابد من تعريف مفرداته ، لغة واصطلاحًا أولاً ، ثم تعريفه بعد أن أصبح مصطلحًا على هذا النوع من العلم .

تعريف كلمة منهج :

نهج الطريق نهجًا ، ونهوجًا : وضح واستبان ، ومنهج الطريق وضوحه .

والمنهاج كالمنهج ، وفي التنزيل الحكيم ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] .

والمنهاج الطريق الواضح ، واستنهج الطريق صار نهجًا .

والنهج : البين الواضح ، يقال : طريق نهج ، وأمر نهج الطريق المستقيم الواضح يقال : هذا نهجي لأحيد عنه .

وفي حديث العباس : لم يمت رسول الله ﷺ حتى تركم على طريق ناهجة أي واضحة بينة (١) .

واصطلاحًا .

المنهج : هو الطريق الواضح في التعبير عن شئ أو في عمل شئ أو في تعلم شئ طبقًا لمبادئ معينة وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة (٢) .

---

(١) انظر لسان العرب ٣٨٣/٢ وانظر مناهج المفسرين للدكتور - محمود النقراشي السيد علي /١٣.

(٢) انظر مناهج المفسرين للدكتور محمود النقراشي السيد علي ص ١٣ .

والمفسر : هو الذي وجدت لديه أهلية الكشف والبيان عن معاني القرآن الكريم حسب الطاقة البشرية .

وبعد أن أصبح هذا المركب علمًا على نوع من أنواع علوم القرآن فيمكن تعريفه :

مناهج المفسرين :

هي الأساليب التي يتبعها المفسرون لبيان مراد الله تعالى من آيات القرآن الكريم حسب الطاقة البشرية .



٢ - نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين

من سنة الله في الرسل أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم ، يقول تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٤ / ٩٥] .

ومن سننه في الرسالات أن تكون الرسالة بلغة القوم المرسل إليهم، وأن يتحدث الرسول إليهم بما يفقهون . يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] ومن سننه في رسالاته أن يزوّد الرسول بمعجزة تكون برهان صدقه وسلطان حجته على قومه ، لأن الرسول لايتميز بظاهره عن سائر الناس ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ . [الكهف : ١١٠] .

ومن سننه في معجزاته أن تكون من جنس المشهور في القوم ، لتكون أبلغ تأثيراً في نفوسهم عندما يعجزون عن معارضتها والإتيان بمثلها .

ولما كانت رسالة رسول الله ﷺ إلى البشرية عامة في كل مكان وإلى كل الأجيال مستمرة إلى يوم القيامة ، اقتضت هذه الرسالة العامة أن تكون معجزتها دائمة مستمرة إلى يوم القيامة تقيم الحجة على كل الأجيال فكانت الحكمة متحققة في كونها معجزة معنوية باقية تتحدى الأجيال إلى يوم القيامة وتثبت عجزهم عن معارضتها ، وتقيم الحجة عليهم ، أن الذي جاء بها رسول صدق وأن رسالته رسالة حق .

روى الشيخان من حديث الليث بن سعد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **مامن الأنبياء نبي إلا قد أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » (١) .

فكانت الرسالة هي المعجزة وكانت المعجزة كامنة في الرسالة فكان القرآن الكريم المعجزة الخالدة الباقية .

ونال اللسان العربي واللغة العربية هذا المجد في كونها لسان الرسالة الخالدة ، وكان العرب هم حملة هذه الدعوة الربانية وخطباء ها وحاملي لوائها ، فكانت ذكرًا لهم وشرفاً ماالتزموا بها ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤] .

كل هذه المزايا وهذه المبررات جعلت من صحابة رسول الله ﷺ أئمةَ التفسير ، لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم ، ودعاةَ الإسلام وحاملي لوائه لأنهم عايشوا نزول القرآن وتمسكوا بهداياته .

ولما كانت السليقة اللغوية سليمة عندهم ، والذوق البياني محضًا صافيًا لم يحتاجوا إلى كبير عناء في إدراك مرامي القرآن وهداياته ، ومع ذلك فإننا نجدهم يعودون المرة تلو المرة إلى رسول الله ﷺ ليستفسروا عن دلالة آية ، أو ليزيلوا إبهامًا عن كلمة ، أو يقيدوا إطلاق لفظة .

ورسول الله ﷺ ، الذي كلف بالتبليغ والبيان ، أعلم الناس بأسرار

---

(١) صحيح البخاري ٩٧/٦ ، فضائل القرآن ، صحيح مسلم كتاب الإيمان ٩٣/١ .

الكتاب المنزل عليه . كان يكتفى من تفسيره بما يزيل الشبهة ويوضح الغموض ، ولايفتح باب الاستفسار عما لاحاجة إليه لئلا يؤدي إلى التنطع في القول ، وإلى الشطط في الاستفسار والانشغال عن مهام الجهاد والدعوة إلى الانشغال بنظريات الأمور وافتراضاتها ، فالأمة المجاهدة في شغل شاغل عن الترف الفكري المعطِّل للطاقات العملية .

ويوجز عبدالله بن عباس رضي الله عنهما واقع التفسير في عصر الرسول ﷺ وعصر صحابته الكرام بإيجاز رائع حيث يقول :

التفسير على أربعة أوجه : تفسير لايعذر أحد بجهله ، وتفسير تعرفه العرب من لسانها ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسيراستأثر الله بعلمه [١] .

فمجال البحث والاستفسار والتعليم ، إذن هو وجه واحد وهو التفسير الذي يعلمه العلماء وهو ماكان مجملاً يحتاج إلى تفصيل ، أو مبهماً يحتاج إلى توضيح ، أو مطلقًا قيّد أو ناسخًا ومنسوخًا ....الخ .

ولكن الدائرة اتسعت بعد عصر الصحابة ، حيث وجد من اختلطت العجمة عنده بالفصحى ، وذهب صفاء التذوق البياني لديه ولم يعايش نزول القرآن فجهل أحداثه وأسباب نزوله . كما وجدت المذاهب الفكرية والاتجاهات السياسية التي حاولت ليّ النصوص القرآنية لتأييد بدعتها - والقرآن حمّال للوجوه .

فكان لابد من جمع مأأثر عن رسول الله ﷺ وصحابته رضوان

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، فصل في أمهات مآخذ التفسير ١٨٨/٤ .

الله عليهم في التفسير وغيره . فكان لابد لعلماء الأمة أن يشمروا عن ساعد الجد ليبينوا للناس هدايات القرآن الكريم من خلال تفسير آيات الذكر الحكيم . فكان عصر جمع العلوم الإسلامية عامة ، إلا أن علم التفسير لم يستقل عن العلوم الإسلامية العامة . وإلى فترة متأخرة من هذه المرحلة بقي بابًا من أبواب علم الرواية - علم الحديث .

إلا أن أسماء لامعة تذكر وتذكر معها كتب التفسير . وعند التدقيق في هذه التفاسير نجد عليها طابع الرواية كما أن كثيرًا منها لاتعرف عنها إلا الأسماء فقد نسب الرواة إلى سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤هـ تفسيرًا كاملاً للقرآن الكريم ، وللآن لم يوجد لهذا التفسير أثر ، كما يقال : إن عمروبن عبيد المتوفى سنة ١١٦هـ - شيخ المعتزلة -كتب تفسيراً كاملاً للقرآن .وأول تفسير وصل إلينا هو تفسير مجاهد المتوفى سنة ١٠٤هـ إلا أنه تفسير لبعض آيات القرآن الكريم على طريقة المحدثين ، ومما عرف فيما بعد بلون التفسير المأثور ونذكر في هذا السياق جهود وعلماء أعلام كتبوا في التفسير من ضمن ماجمعوا من علوم الإسلام منهم : -

- ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ .
- وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠هـ .
- ووكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧هـ .
- وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨هـ .
- وروح بن عبادة البصري المتوفى سنة ٢٠٥هـ .

- وعبد الرزاق بن همام الصنعاني [1] المتوفى سنة ٢١١هـ .
- وآدم بن إياس المتوفى سنة ٢٢٠هـ .
- وأحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ .
- وعبد بن حميد المتوفى سنة ٢٤٩هـ .
- وابن ماجـــه المتوفى سنة ٢٧٣هـ .
- وابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ .

وغيرهم كثير .

ولم يصلنا من تفاسيرهم سوى تفسير مجاهد ، وتفسير عبدالرزاق الصنعاني ، وتفسير ابن ماجه ، وتفسير ابن جرير الطبري ، وهذا التفسير الأخير - تفسير الطبري - هو أول تفسير كامل لآيات القرآن الكريم يصل إلينا ، وتفسيره بحق موسوعة تفسيرية قفز ابن جرير في هذا الكتاب بعلم التفسير قفزة نوعية هائلة ولازال هذا الكتاب يشغل المكانة العليا بين كتب التفسير .

وكان من جاء بعد ابن جرير عالة عليه وتلميذاً له .

وبدأ عصر التدوين وكثرت كتب التفسير ، وأخذت ألوانًا واتجاهات عديدة سنتعرف من خلال هذه الدراسة على أهم هذه التفاسير وعلى مناهج مؤلفيها ، ونشير إلى أبرز مزاياها . والله ولي التوفيق .

---

(١) انظر تفسيره بتحقيقنا . ط مكتبة الرشد سنة ١٤١٠هـ .

٣ – التفسير بالمأثور

المراد بالتفسير بالمأثور :

المأثور : اسم مفعول من أثرت الحديث أثرًا من باب (نقل) نقلته ، وحديث مأثور أي منقول .

فالتفسير بالمأثور أي بالمنقول .

وعلى هذا فالتفسير بالمأثور يشمل المنقول عن الله تعالى في القرآن الكريم والمنقول عن النبي ﷺ ، والمنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم ، والمنقول عن التابعين رحمهم الله .

وعلى هذه الأنواع الأربعة يدور التفسير بالمأثور [١] .

---

(١) انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور – محمد أبو شهبة .

(١) التفسير بالمأثور : تفسير القرآن بالقرآن

تناول القرآن الكريم موضوعات كثيرة في مواطن متعددة ، وربما جاء ذكر الموضوع أكثر من مرة لمناسبات مختلفة ، وقد يرد ذكر الموضوع في موطن مجملاً وفي موطن آخر مفصلاً ، وقد يأتي ذكره مطلقًا ثم يقيد في موضع آخر ، وكل ذلك يزيد من توضيح المعنى ويبرزه مما جعل العلماء يعتبرونه لونًا من ألوان التفسير فما التفسير إلا الكشف والبيان عن المعنى .يقول شيخ الإسلام ابن تيمية « ...**إن أصح الطرق في ذلكَ أي في تفسير القرآن – أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر.** »[1] .

ومن أمثلة ذلك :

١ – قوله –تعالى– في سورة الفاتحة : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين** ﴾ .

فقد جاء تفصيل – المنعم عليهم – في قوله– تعالى–: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء / ٦٩] .

٢ – وجاء بيان قوله – تعالى– : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة / ٣٧] .

في آية الأعراف في قوله– تعالى–: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية بتحقيق د . عدنان زرزور : ص ٩٣ .

تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف :٢٣] .

٣ - وجاء بيان الاستثناء الوارد في قولـه- تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١] .

في الآية اللاحقة في نفس السورة ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ وكذلك الآيـات ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة :١٧٣] .

وقوله -تـعالى-: **﴿ قل لاأجد في مـاأوحي إلـيّ محـرمًا على طاعـم يطعـمه إلا أن يكون ميـتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خـنزير فإنه رجـس أو فسقًا أهـل لغير اللـه به فمن اضطر غير بـاغ ولا عـادٍ فإن ربك غفـور رحيم ﴾** [الأنعام /١٤٥] .

٤ - وجاء تـفصيل المجـمل في قـولـه- تعـالى-: **﴿ وكنتـم أزواجًا** ثَلَٰثَةٗ ﴾ الواقعة . في الآيات اللاحقة في قوله- تعالى-: **﴿ فأصحـاب الميمنة ماأصحـاب الميمنة وأصحاب المشأمـة ماأصحاب المـشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾** [الواقعة :٧ - ١١] .

٥ - وفسّر قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ المعارج /٩.بقوله تعالى **﴿إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعًا ﴾**[المعارج ٩ -١٢] .

٦ - وفسّرت مفاتح الغيب في قوله- تعالى-: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [الأنعام :٥٩] .

بقوله تعالى في سورة لقمان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

٧ - وجاء تفسير المحرمات على اليهود والمذكورة في قوله- تعالى- :

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ ﴾ [النحل : ١١٨] .

جاء التفسير في سورة الأنعام قال- تعالى-: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام :١٤٦] .

ومن يتتبع آيات القرآن الكريم يجد أمثلة ضافية على هذا اللون من تفسير القرآن بالقرآن . ولقد ذكر المفسرون كثيرًا من الآيات في سياق تفسير آيات أخرى ، كابن كثير قديمًا والشنقيطي حديثًا .

(٢) تفسير القرآن بالسنة النبوية

يقول- جـل جلاله -: ﴿ وما أرسلنا من رسـول إلا بلسان قومـه ليبين لهم﴾ [إبراهيم : ٤] .

فـمن البـدهي أن يكون الرسـول- ﷺ - وهو الـذي أنـزل عـليـه القرآن - أعلم الناس بأسرار الكتاب الذي أنزل عليه ، وعلى دراية تامة بأساليب الخطاب الذي يخاطب به هو والمكلفون معه .

ولكي يقـوم بالمهـمـة التي كلف بهـا وهي تبليـغ النـاس رسـالات ربهـم ، لابد أن يكون أول المستوعـبين لهداياته المحيطين بالتكاليف التي تضمـنها القرآن العـظيم ، بل وأول المطبقين لشـرائعه وتعـاليمـه . يقول -جل شـــأنه-: ﴿وأنزلنا إليك الـذكر لتـبين للـناس مـانزّل إليـهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل:٤٤].

ويقـول- جل جـلاله-: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتـاب بالحق لتـحكم بين الناس بما أراك الله﴾[النساء :٦٤] .

وقد جاء ذكر المهمـات الأساسية لرسول الله- ﷺ - في قـوله - تعالى-:

﴿ كـمـا أرسلنا فـيكم رسـولاً منكم يـتلوا عليكم آياتنا ويزكـيكـم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة : ١٥١].

لذا نجد أن الـرسول- ص - يفسر آيات من القـرآن الكريم ليبين حكمًا مستنبطًا ، أو يجيب سائلاً ، أو يدفع توهماً خاطئاً ..

١ - فنجـده يبين معنى المجمل من القرآن أحيانًا ، كما جاء عن ابن

عباس قال: سأل رجل رسول الله ﷺ قال : أرأيت قول الله ﴿**كما أنزلنا على المقتسمين**﴾ [الحجر : ٩٠] .

قال : اليهود والنصارى . قال ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ ماعضين ؟ قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض (١) .

٢ - وكما روي عنه- ﷺ - أنه قال في قوله -تعالى- : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ [الرحمن : ٦٠] (٢) .

هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة .

ب - ولما كانت الفهوم تتفاوت في إدراك دائرة عمومات القرآن الكريم وآفاقه ، كان الرسول- ﷺ - يقرب المعنى العام ويوضحه ويضرب له الأمثلة :

١ - روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال : يارسول الله ، كيف الصلاح بعد هذه الآية ﴿ **ليس بأمانيكم ولاأماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به**﴾ [النساء :١٢٣] فكل سوء عملنا جزينا به ؟

قال رسول الله - ﷺ - :« **غفر الله لك ياأبا بكر ، ألست تمرض ، ألست تنصب ، ألست تصيبك اللأواء** » ؟ قال بلى ، قال:« **فهو ما تجزون به** »(٣) .

٢ - وسألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : يارسول الله

---

(١) صحيح البخاري ٥/٢٢٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢٧٨.

(٣) مسند الإمام أحمد ١/١١.

﴿ والذين يُؤْتُون ماآتوا وقلوبهم وجلة ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله ؟ قال : « **لايابنت الصديق ، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويخاف الله** » [١] .

٣ - وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : جاء رجل إلى النبي ص يسأله فسأله عن الكلالة فقال : « **أما سمعت الآية التي أنزلت في الصيف ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾** فمن لايترك ولداً ولاوالداً فورثته كلالة [٢] .

٤ - وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: « **السائحون هم الصائمون** » [٣] .

٥ - وعن عمربن الخطاب عن النبي - ﷺ - : **﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾** قال « **لزوال الشمس** » [٤] .

٦ - عن عدي بن حاتم قال رسول الله ﷺ : « **إن المغضوب عليهم هم : اليهود، والنصارى ، وإن الضالين هم : النصارى**» [٥] .

٧ - عن ابن مسعود قال : لما نزلت الآية **﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** [الأنعام : ٨٢] .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٦ /١٥٩، ٢٠٥ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٢٩٢/٤ ، ٢٩٥ مع اختلاف في السياق وصحيح مسلم كتاب الفرائض ٦١/٥مع اختلاف يسير.

(٣) تفسير ابن كثير ٣٩٢/٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٣/٣ الموطأ للإمام مالك ١١/١ وقوت الصلاة مع اختلاف السياق .

(٥) أخرجه أحمد ٣٧٨/٤ ، والترمذي ٢٧١/٤ .

شق ذلك على الصحابة ، قالوا : يارسول الله وأينا لايظلم نفسه ؟ قال : « **إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ماقال العبد الصالح: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾** [لقمان :١٣] **إنما هو الشرك** » (١) .

٨ – عن عقبة بن عامر ، قال : سمعت رسول الله ص يقول : وهو على المنبر ﴿ **وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ..** ﴾ [الأنفال :٦٠] ، « **ألا وإن القوة الرمي ، ألا وإن القوة الرمي ، ألا وإن القوة الرمي** » (٢) .

٩ – عن عائشة– رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله– ﷺ – « **من نوقش الحساب عذب** » قلت ، أليس يقول الله –تعالى–:﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ [الانشقاق:٨] . قال :« **ليس ذاك الحساب ، وإنما ذاك العرض** » (٣) .

١٠– عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ص : « **الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة** » (٤) .

وفي رواية أخرى عن أنس أيضًا قال : لما عرج بالنبي– ﷺ – إلى السماء ، قال:« **أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفًا ، قلت: ماهذا ياجبريل قال : هذا الكوثر** » (٥) .

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣٧٨/١ ، والترمذي ، كتاب التفسير ٢٢٧/٤ ، ومسلم كتاب الإيمان ٨٠/١ .

(٢) مسلم كتاب الإمارة ٥٢/٦.مسند الإمام أحمد ١٥٧/٤ .

(٣) أخرجه الشيخان انظر صحيح البخاري كتاب العلم ٣٤/١ ومسلم كتاب الجنة ١٦٤/٨ ، ومسند الإمام أحمد ٤٧/٦ .

(٤) أخرجه أحمد ٢٢٠/١٠٢/٣ ومسلم ١٢/٢ مع اختلاف في السياق

(٥) رواه البخاري ٢٠٧/٧ ، مسند الإمام أحمد ١٩١/٣ .

هل فسّر الرسول ﷺ كل القرآن

لايشك من كان على اطلاع على سنة رسول الله ﷺ أنه لم يفسر كل آيات القرآن الكريم ، وذلك لعدم وجود الدواعي والمقتضيات لمثل هذا التفسير، وذلك :

١ - لأن القرآن نزل بلغة العرب ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف :٢] .

فالأساليب المستعملة في البيان القرآني أساليب عربية صحيحة . ونظرًا لأن قريشًا - التي نزل القرآن بلهجتها -تمثل ذؤابة العرب وقمة فصاحة لهجتها ، لما كانت لها من المكانة الدينية بين العرب في الجاهلية ، فهم سدنة بيت الله الحرام، ولما لها من السيادة الاجتماعية لموقعها الجغرافي حيث تمثل موطن الحضارة وملتقى الأسواق التجارية والمالية .

فلهجة قريش كانت معلومة لدى جميع القبائل العربية ، بخلاف القبائل المعزولة التي لاتشغل مثل هذه المكانة .

فمن دخل الإسلام في عهد رسول الله ﷺ لم يكن بحاجة إلى كثير من تفسير الآيات لأنه يدركها بسليقته العربية السليمة ، والكلمات القليلة التي جاء بها القرآن الكريم ونقلها من دلالتها اللغوية البحتة إلى مصطلحات شرعية كالصلاة والزكاة والصوم والجهاد ... كان الصحابة رضوان الله عليهم يدركون مراميها بالمخالطة والاستعمال اليومي ومعايشتهم للتنزيل ، ومع ذلك إن أشكلت عليهم

كلمة أو التبس عليهم فهم آية كانوا يرجعون إلى رسول الله ﷺ ليفسر لهم المراد .

ولعل هذا النوع من التفسير يقصده ابن عباس بقوله : التفسير على أربعة أوجه .. وعد منها تفسيرًا لايعذر أحد بجهله ، وتفسير تعلمه العرب من لسانها ..... ، .

٢ - حضور صحابة رسول الله ﷺ نزول الوحي ومعايشتهم أسبابه ، فكثيراً ماكانت الآيات الكريمة تنزل بشأن واقعة ، كان مجموعة من الصحابة أو أحدهم طرفًا في الواقعة أو صاحب الحادثة ، فلا شك أن هذا الصحابي أعرف الناس بمداخل الحادثة وملابساتها ووقائعها ونتائجها ، وبالتالي أعلم الصحابة بتفسير الآيات التي نزلت بخصوصها ، وبالأحكام التي اشتملت عليها حلاً لمشكلته .ولذلك كان الأنصار والمهاجرون أعلم الناس بالمراد من قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١)[البقرة :١٩٥] .

وكان حاطب بن أبي بلتعة ومن حضر أحداث فتح مكة أعلم

---

(١) روى أبو داود والترمذي والنسائي عن أسلم أبي عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى اخترقه ومعنا أبو أيوب الأنصاري ، فقال ناس : ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا صحبنا رسول الله وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام ، وظهر اجتمعنا معشر الأنصار فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه حتى فشا الإسلام وكثر أهله ، وكنا قد أكثرنا على الأهلين، والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيها ، منزل ، فنزل فينا ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال ، وترك الجهاد .

الناس بقوله تعالى : **﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ....والله بما تعملون بصير ﴾** [الممتحنة : ١] [١] .

وكان المسلمون الأولون من المهاجرين أعلم الناس بآيات سورة العلق والمزمل والمدثر ومن جاء بعدهم إنما كان ينقل عنهم المراد بها .

فمعايشة أحداث النزول وأسبابه يضفي بياناً وتوضيحا على تفسير الآيات الكريمة ولايستدعي الرجوع إلى رسول الله ﷺ للاستفسار عن معانيها .

٣ – صغر رقعة الدولة الإسلامية في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام حيث كانت محصورة في جزيرة العرب ، والداخلون في الإسلام أغلبهم من العرب فلم توجد الدواعي لتفسير القرآن الكريم .

ولهذه الأسباب مجتمعة نجد أن الحاجة إلى التفسير ازدادت كلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل في الإسلام من غير العرب ، أو نشأ في الإسلام نشأ لم يحضروا أسباب النزول وأحداثه .

كما سنجد في عصر الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ وفي عهد التابعين ومن بعدهم .

---

(١) انظر حادثة سبب نزول الآيات في تفسير ابن كثير ٤/٣٤٤ .



٤ - الحكمة من كون المنقول عن رسول الله ﷺ في تفسير آيات الأحكام أكثر من المنقول عنه في تفسير الآيات الكونية المتعلقة بالآفاق والأنفس

يعود ذلك إلى أسباب منها :

١- لأن القرآن الكريم كتاب هداية ، وهدفه الأسمى هداية البشرية إلى خالقها لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ببشارة المسلمين المؤمنين المتقين وإنذار العتاة المتجبرين المعاندين﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۞ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء : ٩ ــ ١٠].

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤] .

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ : ٦].

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ [النحل : ٨٩] .

﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل ١ - ٢] .

فلما كانت مهمة الرسول ﷺ الأساسية البلاغ والبيان ، فلا شك

أن البيان سينصب على الهدف الأساسي لنزول القرآن الكريم ، وهذا الهدف يتجلى في الآيات المشتملة على الأوامر والنواهي والبشارة والإنذار والترهيب والترغيب وهي آيات الأحكام المتعلقة بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق .

فحاجة المؤمنين إلى ذلك أشد من ذكر تفاصيل بداية الخلق والتكوين في السماوات والأرض والكشف عن نظام الكون ودقائقه وسننه التي يسير بموجبها .

٢ - من طبيعة البشر التطلع إلى المجهول ومحاولة التعرف على مالا يعرفه لإشباع الفضول لديه ، ومحاولة تطويع السنن الكونية وتسخيرها لسد احتياجاته أو تحقيق الرفاهية لنفسه من خلالها ، بينما التكاليف الشرعية التي تحد من شهوات الإنسان وتلزمه بالالتزام بمنهج معين في الفكر والسلوك والعادات كل ذلك يقتضى البيان والتوضيح ، وإزالة الشبهات ليقوم الإنسان بالوفاء بمستلزمات التكاليف الشرعية .

فكان تركيز رسول الله ﷺ على بيان الأحكام الشرعية تقريراً وتفسيراً وتمثيلاً بمختلف الأساليب البيانية .وتركت تفصيلات الحديث عن الآيات الكونية ، لأن الإيمان بمضمونها بشكل عام كاف ، وهى لم تسق أصلاً إلا لبيان عظمة خالقها وتوحيده والإيمان به .

٣ - إن الله -جل جلاله- أكرم الإنسان ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ .﴾ [الإسراء : ٧٠] فلم يتركه لاجتهاداته ليرسم نهج حياته ونظامها على مستوى الفرد والجماعة والأمة والإنسانية . بل شرع لها من الشرائع وكلف رسوله بتطبيق هذه الشرائع في حياة الأمة ليكون

النموذج الأمثل في التطبيق والسعادة في الدنيا ولو ترك الإنسان وشأنه يخطط لنفسه نظام الحياة من غير استنارة بنور الوحي لكان شقاء الإنسانية الدائم .فإن التجارب في الحياة الاجتماعية بعيدة المدى . والتحول عن التجربة الخاطئة إلى الصحيحة قد تستغرق أجيالاً عديدة أما التجربة في السنة الكونية فهي محدودة التأثير على القائمين بها ، وسرعان مايستطيعون تعديل المسار وإجراء التجربة ثانية في ظروف ملائمة .

لذا كانت آيات الهداية في القرآن الكريم كثيرة في جميع مجالات الحياة وجاءت بتفصيلات وافية . وترك التفصيل لما جاء مجملاً فيها إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكانت الحاجة إلى تفسير هذه الهدايات على لسان رسول الله ﷺ وبأفعاله ليجنب الإنسانية التجارب الفاشلة في مسار حياتها فهي أكرم على الله من أن تكون حقل تجارب .

٤ - إن الأمة المجاهدة في مرحلة التأسيس تصب اهتماماتها على ماينعكس على الحياة العملية على أفرادها ، وتتجنب الخوض في الأمور النظرية التي غالبًا ماتكون للتفكه والمتعة العقلية .

لذا نجد أن القرآن الكريم يوجه المؤمنين إلى آداب السؤال والتعلم بمختلف الأساليب .

- فتارة ينهاهم عن السؤال مطلقًا لأن الوقت لم يحن لمثله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ .. ﴾ [المائدة : ١٠١] وفي مثل هذا يقول الرسول ﷺ « **من أشد الناس عذابًا من سأل**

عن مسألة لم تحرم فحرمت من أجل مسألته .. » [1] .

- وتارة يجيبهم بأسلوب الحكيم للفت نظرهم إلى ماينبغي أن يكون السؤال عنه لأنه المهم كما في قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥] يقول الرسول ﷺ **«إن الله ينهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال . . »** [2] .

ويقول **« إنما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم .. »** [3] .

- وتارة تجيبهم الآيات الكريمة ببيان الحكمة من خلق الشيء المسئول عنه لصرفهم عن مثل هذا السؤال لأنهم لايملكون الوسائل الكفيلة باستيعابهم لمثل تلك الحقائق الدقيقة ، وسؤالهم عن ذلك وهم ليسوا أهل خبرة ودراية لمثل هذه الدقائق العلمية كمن يأتي البيت من ظهره وليس ذلك من الحكمة .بل الحكمة أن يأتوا البيوت من أبوابها .

يقول جل من قائل: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩] جاء ذلك بصدد سؤالهم: ما بال الهلال يبدو صغيراً رفيعاً في أول الشهر ثم يكتمل بدرا في وسطه ثم يعود كالعرجون القديم في آخره . يقول علي

---

(١) مختصر سنن أبي داود للمنذري ١٣/٧ .

(٢) صحيح البخاري ١٨٤/٧ ،.مسند أحمد ٣٢٧/٢ ، مسلم ١٣١/٥ مع اختلاف في السياق .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٤٧/٢ ، البخاري ١٤٢/٨ .

ابن أبـي طالـب رضي الـلـه عنـه « حدثـوا النـاس بمـا يعـرفون ودعـوا ماينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله » . (١)

يقـول عبدالـله بن مـسعود رضـي الله عـنه : « **ماأنت بمـحدث قومًا حديثًا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة** » .

والرسول- ﷺ - وهو أعـلم الناس بـالكتاب المـنزل عليـه - يدرك تماما أن بـعض الآيات التي لاتـشتمل علـى أمور عملـية تحتاجهـا الحياة البـشريـة ، بل هي آيـات تتحـدث عن عـظمة الخـالق ودقة صـنعـه في مخـلوقاتـــه بالإشـــارة إلـى بـعـض أســرار الكـون فـــي السمـــاوات والأرض .... الخ يدرك الرسول ﷺ أن في بيان مثل هـذه الأسرار فتنة لبعـضهم ، أو أن بيانهـا لهـم يؤدي إلى فـتح باب للجدل الـذي هم في غنى عنه .

كل ذلك وغيره اقتضى أن يكون اهتمام رسول الله ﷺ منصبًا على تفسير الآيـات المشتملة على الهـدايات القرآنية .في العـقائد والأحكام التشريعيـة والأخلاق الإسلامية .وأن يترك تفسير الآيـات التي تتحدث عن سـنن الله في الـكون والمخلوقـات إلى الأجيال الـلاحقة ، وليـكون للتـقدم الحضاري وتطويـر وسائل الحياة والـتقدم البشري فـي مجالات الفلك والـعلوم الكونيـة دخل في تقريب مـعانيها إلى الأذهـان لذا قال بعض القدماء « **خير مفسر للقرآن الزمن** » .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب العلم /١/ ٤١



٥ – التفسير في عصر الصحابة

اتسعت دائـرة الحاجة إلى التفسيـر في عصر الصحابـة رضوان الله عليهم وذلك للأسباب التالية :

١ – دخل الإسـلام أقوام مـن غير الـعرب وكـانوا حريـصين عـلى معرفـة أمور دينهـم وشرائع ربهـم ، وتدبر كتـاب ربهم ، وبما أنـهم لم يكـونوا على المـستوى اللـغوي الذي يمـكنهم مـن إدراك معاني الـقرآن ومراميه فكان لابد من الرجوع إلى صحابة رسول الله الذين نزل القرآن بلغتهم وهم أدرى الناس بهداياته .

٢ – نشأ في الإسـلام جيل من أبناء الـصحابة وغيرهـم من العرب لم يحضروا نزول الوحي ولم يعايشوا الأحداث والوقائع التي نزل قرآن بشأنـها ، ومعرفة سبب النزول وحضور الأحـداث والوقائع يعـين على الإحاطـة بمضـمون الآيات الـتي نـزلت بشـأنهـا ، ويلقـي أضواء عـلى الهدايات والتوجيهات التي اشتملت عليها .

فكـان الرجوع إلـى الصـحابة رضـوان الله عـليـهم – وهم الـذين عايشوا نزول الوحي وكان كثير مـنهم طرفًا في الوقائع والأحداث التي نزل فيها قرآن كريم – الحل الأمثل لاستفساراتهم عن آيات القرآن .

٣ – بعد اتسـاع رقعة الدولة الإسلاميـة حيث بلغت حـدود الهند والسنـد شرقاً ، وأرميـنيا وأذربيـجان شمالاً ، والمحيط الأطلسـي وبحر الروم غـرباً وبـحر الـعرب جنـوباً اختـلـط العـرب بغيـرهم واختـلـطت الثقافـات الوافدة مع المسلـمين الجدد بالثقـافة الإسلامية وخاصـة ثقافة

أهل الكتاب اليهود والنصارى ، وفلسفة الشرق المتمثلة بالمجوس وغيرها . وصار الناس بحاجة لتمييز الصحيح من السقيم والدخيل الوافد من الأصيل المعتمد ، وخاصة مايتعلق بقصص الأمم السابقة وأنبيائهم ، وما تحمله الفلسفات في أصل الكون وتكون المخلوقات .

فكانت الحاجة ماسة للرجوع إلى أعلام الصحابة رضوان الله عليهم لمعرفة رأي الإسلام في كل ذلك . لذا نجد أن الذين امتدت بهم الحياة من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام كثر النقل عنهم في تفسير القرآن الكريم إلى جانب الفتاوى والروايات الأخرى بخلاف من كانت وفاته قريبة من وفاة رسول الله ﷺ

كل ذلك استدعى انتشار الصحابة رضوان الله عليهم في الأقطار ليعلموا الناس أمور دينهم ويفسروا لهم كتاب ربهم .

وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان حريصًا على الإبقاء على كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار بجواره في عاصمة الدولة لاستشارتهم في تسيير شئون الدولة والرجوع إليهم عند تجدد القضايا إلا أنه أرغم على إرسال عبدالله بن مسعود إلى العراق وقد كتب إليهم في ذلك .

«...إنني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرًا ، وعبدالله بن مسعود معلمًا ووزيرًا، وإنهما من النجباء من أصحاب رسول الله من أصحاب بدر ، وقد جعلت عبدالله بن مسعود على بيت مالكم ، فتعلموا منهما، واقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي» (١)

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٧ .

وكذلك أرسل غيرهم إلى أقطار أخرى كعمرو بن العاص إلى مصر وسعد بن أبي وقاص إلى العراق وبلاد الشام ، ومعاذ بن جبل إلى الشام وقد حمل كل صحابي معه علمًا وفقهاً لكتاب الله ، فبالإضافة إلى ماتلقوه من رسول الله ﷺ وما أطلعوا عليه من أسباب النزول كان لهم إدراكهم الخاص لمعاني القرآن الكريم ومراميه فيما لم يتلقوا بشأنه قولاً مرفوعاً .

ففرض الواقع الذي عاشوه أن يتتلمذ على يد كل واحد منهم في القطر الذي استقر فيه طلاب علم صبغوا بصبغة أستاذهم ، وساروا على منهجه في الفهم والاستنباط . والتلميذ امتداد لأستاذه .

ولاغرابة في ذلك فهم الجيل الذي تلقوا العلم والتربية على يد رسول الله ﷺ معلم الإنسانية ومرشد البشرية ومبلغ الرسالة .

يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : من كان منكم متأسيًا فليتأس بأصحاب رسول الله ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفًا ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم .

ويقول الإمام الشافعي عن الصحابة رضوان الله عليهم « وهم فوقنا في كل علم واجتهاد ، وورع وعقل ، وأمر استدرك به علم ، واستنبط به حكم ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من أرائنا عندنا لأنفسنا » (١) .

---

(١) انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٦٣ .

والمحققون من العلماء يرون أن قول الصحابي في التفسير إذا تعلق بأسباب النزول ومما لامجال للرأي فيه كأحوال يوم القيامة ونحوه فهو من قبيل الحديث المرفوع (١) .

---

(١) يقول ابن حجر العسقلاني :« ومثال المرفوع من القول حكماً لاتصريحًا أن يقول الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات مالامجال للاجتهاد فيه ، ولاله تعلق ببيان لغة أو شرح غريب كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وأخبار الأنبياء أو الآتية كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة ، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص ». انظر نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص٥٣ . ط مؤسسة الخافقين .

٦ – ظهور المدارس التفسيرية في عصر الصحابة وأبرز رجالها :

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وحمل صحابة رسول الله ﷺ مشعل الهداية إلى الآفاق ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وكان قادة الجيوش من كبار صحابة رسول الله ﷺ ، يصطحبون معهم أوعية العلم من صحابة رسول الله ﷺ فنجد حذيفة بن اليمان يغازي مع جند العراق والشام أرمينيا وأذربيجان وأبا أيوب الأنصاري يخرج مع المجاهدين إلى بلاد الروم فتدركه المنية على أسوار القسطنطينية ، وعبدالله بن عمرو بن العاص يرافق الجيوش الفاتحة إلى مصر وشمال أفريقيا ، وسعد بن أبي وقاص يتجه إلى بلاد فارس .

وكان هؤلاء الأعلام من صحابة رسول الله ﷺ مرجع المجاهدين في فتاواهم ومايعتورهم من مشكلات ، وما تثور في أذهانهم من تساؤلات حول كتاب الله أو سنة نبيه ، أو مايحتاجون إليه في شؤون دينهم .

كما أن الحاجة اقتضت في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يوجه مع كل نسخة من المصاحف العثمانية قارئاً يقرئ الناس على حرف قريش بعد أن كتبت المصاحف كلها على هذا الحرف وأمر بحرق ماسواها إن تضمنت حرفًا مخالفًا لحرف قريش . وكانت هذه الخطوة لازمة لرفع سبب الفرقة ، والقضاء على الفتنة التي أثيرت بين

الناس بسبب اختلاف الأحرف التي انتشرت بين المسلمين .

ولما استقر القراء في الأمصار صاروا مرجع الناس في القراءة والتفسير ونشر العلوم الإسلامية .

ومن البدهي أن يلتف حول كل علم من هؤلاء الأعلام تلامذة يتلقون منهم العلوم الإسلامية .

ومن البدهي أيضًا أن تتفاوت فهومهم واستنباطاتهم من كتاب الله تعالى ، وأن يصطبغ هؤلاء التلاميذ بصبغة شيوخهم في الفهم والعلم ، وأن يتأثروا بمنهجهم في تفسير كتاب الله تعالى ، وبالتالي أن تتباين مناهج المدارس التفسيرية التي برزت فيما بعد في عهد التابعين .

ولابد من وقفة مع شيوخ هذه المدارس من صحابة رسول الله ﷺ ، والتعرف على ملامح منهجهم في التفسير الذي انعكس على مدارسهم فيما بعد .

الفصل الأول

عبدالله بن عباس رضي الله عنه

ومنهجه في التفسير :

المبحـــث الأول : ولادته ونشأته .

المبحث الثانـــي : مقومات نبوغ ابن عباس .

المبحث الثالــث : مكانة ابن عباس وأقوال العلماء فيه .

المبحث الرابـــع : منهج ابن عباس في التفسير .

كلمة في تفسير (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) .

المبحث الخامس : مدرسة التفسير بمكة المكرمة .



المبحث الأول

ولادتـــه ونشأتـــه

هو عبدالله بن عباس بن عبدالمـطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله ﷺ ، يلتقي نـسبه بالنسب الطـاهر الشريف (١) في جده عبـدالمطلب . ولد عبدالله قبل الهجرة بثلاث سنوات على الرأي الراجح (٢) .

وكانت أمه مسلمة يوم ولادته (٣) .

أما أبوه العبـاس فقد تأخر إعلان إسلامـه إلى قبيل فتح مـكـة ، ولما أعلـن إسلامـــه هاجر مع ابنه عبدالـلـه وزوجـــه - أم الفضـل - لبابـــة

(١) يقول رسول الله- ﷺ- إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام واصطفى من قريش بـني هاشم واصطفاني من بني هاشـم ...) رواه مسلم . في كتاب الفضائل .

(٢) في صحيح البخـاري عن ابن عباس قال : أقبلت راكباً على حمـار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام -و رسول الله ﷺ يصلي بمنى إلى غير جدار ، فمررت بين يدي بعض الصف ، وأرسلت الأتان ترتع ، ودخلت الصف فلم ينكر علي ذلك . صحيح البخاري - كتاب العلم ٢٧/١ .

وعن سعيد بـن جبير : سئل ابن عبـاس : مثل من أنت حين قبـض النبي ﷺ ؟ قال : أنا يومئذ مـختـون . وكانـوا لايختـنون الـرجل حـتى يدرك . صـحيـح البـخاري كـتاب الاستئذان ، باب الختان بعد الكبر ١٤٤/٧.

(٣) يروي ابن سعد فـي الطبقات : أن أم الفضل أول امـرأة آمنت بعد خديجة . الـطبقات ٢٧٧/٨ .

الكبرى بنت الحارث بن حزن (١) . فالتقوا برسول الله ﷺ بالجحفة وهو ذاهب لفتح مكة (٢) .

وكان لهذه القرابة من رسول الله ﷺ ، ونشأته في كنف بيت الرسول ﷺ أثرها البالغ في تكوين شخصية عبدالله بن عباس العلمية ، وتربيته الخلقية ونجابته وسيادته .

---

(١) لبابة بنت الحارث بن حزن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ لأبيها وأمها ، ولبابة الصغرى وتلقب العصماء وهي أم خالد بن الوليد . تزوج أختها - سلمى - حمزة بن عبدالمطلب ، وتزوج أختها - أسماء - جعفر بن أبي طالب .ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق ثم تزوجها بعده علي بن أبي طالب ، انظر الإصابة ٤٨٤/٤ والاستيعاب على هامش الإصابة ٤٠١/٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١٨/٤ .

المبحث الثاني

مقومات نبوغ عبدالله بن عباس رضي الله عنهما

لقد تضافرت الأسباب الظاهرة والخفية على صياغة شخصية عبدالله بن عباس العلمية فمن نسب طاهر شريف ، إلى بيئة نظيفة رفيعة المستوى ، إلى فطرة سليمة مستقيمة إلى دعوة مستجابة إلى طموح شخصي ، إلى ذكاء وقاد ...

ولعل أبرز هذه الأسباب والمقومات هي :

١- نشوؤه في بيت النبوة :

تربى عبدالله بن عباس في بيت النبوة ، حيث تعيش خالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وكانت تحبه وتلاطفه وتؤانسه ، وكان عبدالله بن عباس يدخل عليها ويبيت عندها كثيراً ، وكان رسول الله ﷺ يحبه ويدعو له : روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ وقال : « **اللهم علمه الكتاب** » (١) . وفي حديث آخر : « **اللهم علمه الحكمة** (٢) .

وكان عبدالله بن عباس يحب رسول الله ﷺ حبًا كثيرًا ، ويجله إجلالاً كبيراً ، ويحرص على مرافقته والاقتداء به وخاصة في الحالات التي لايشاركه فيها أحد أصحابه .

---

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح ، كتاب العلم ١/٢٧ .

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح ، كتاب أصحاب النبي ﷺ ٤/٢١٧ .

وقف عبدالله مرة ليقتدي برسول الله ﷺ في صلاة الليل ، فتأخر عنه إجلالاً له أن يقف بجانبه، فمد رسول الله ﷺ يده إليه وأوقفه بحذائه .(١) .

وعن عبدالله بن عباس : أنه ركب خلف النبي ﷺ يومًا فقال له رسول الله ﷺ : « **ياغلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أ ن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف** » (٢) .

٢ – دعاء الرسول ﷺ له :

كان عبدالله بن عباس قريبًا من قلوب من يعاشرهم ، وكان يتحبب إليهم بفطنته وذكائه وضع مرة لرسول الله ﷺ وضوءه – من غير أن يطلب منه ذلك – فقال رسول الله ﷺ :« **من وضع هذا** »؟ فقالت ميمونة : عبدالله ، فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** » (٣) .

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال ضمني رسول الله ﷺ قال : «**اللهم علمه الكتاب** » ، وفي رواية « **اللهم علمه الحكمة** » (٤) .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٥/٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٩٣/١ .

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٢١٧/٤ ، ومسلم في فضائل الصحابة ١٥٨/٧.

(٤) تقدم تخريج الحديث انظر ص ٥١ .

وعن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ وضع يده على رأسه فقال : « **اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل** » ووضع يده على صدره فوجد بردها في ظهره ثم قال الرسول ﷺ :« **اللهم أحش جوفه حكماً وعلما** » . (١)

فلا غرابة - بعد أن ظفر عبدالله بن عباس - من رسول الله ﷺ بهذه الدعوات الكريمة أن يكون ترجمان القرآن وحبر الأمة .

٣ - الاستعداد الفطري والملكات العقلية :

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : مارأيت أحضر فهما ، ولا ألب لباً ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات ثم يقول عند ذلك قد جاءتك معضلة ثم لايجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار (٢) .

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فقال بعضهم : لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنه ممن علمتم، قال : فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ، قال : فما رويت - أي ظننت - أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم مني ، فقال : ماتقولون في قوله تعالى ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ..**﴾ حتى ختم السورة ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وقال

---

(١) حلية الأولياء ٣١٦/١ .

(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ٧٠/٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٩/٢ .

بعضهم : لاندري ، ولـــم يقل بعضهم شيئاً ، فقال لي يـاابن عباس : أكذلك تقول ؟

قلـت : لا ، قال : فـما تـقول ؟ قـلت : هـو أجل رسـول الـله ﷺ أعلـمه اللـه له ، إذا جاء نـصر اللـه والفـتح ، فتـح مكة فـذاك علامـة أجلك ....» .

قال عمر : ماأعلم منها إلا ماتعلم (١) .

وكان عـمر يقـول عنـه : ذاكم فتـى الكهـول ، له لـسـان سـؤول وقلب عقول (٢) .

كان عـبدالله بـن عباس فصـيح اللسـان قوي البيـان عبقريًا مـفرط الذكاء ، يقول مسـروق في وصفه : كنت إذا رأيت ابن عـباس قلت : أجمل الناس ، فإذا تكلم قلت : أفصح الناس ، وإذا تحدث قلت : أعلم الناس (٣) .

وعن سعيد بن جبير أنه قال : إن كـان ابن عباس ليحدثني الحديث فلو يأذن لي أن أقبل رأسه لفعلت (٤) .

وقد فقد ابن عباس بـصره في آخر حياته (٥) ولكن عطاءه لم يتأثر بذلك فبقي على نشاطه العلمي ، وقد قال في ذلك :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ٦/٩٤ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ٢/٣٤٤ والإصابة ٢/٣٣٤ .

(٣) المرجع السابق ٢/٣٤٥ .

(٤) المرجع السابق ٢/٣٧٠ .

(٥) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٨/٢٩٨ عن ثور بن زيد عن موسى بن ميسرة أن =

إن يأخذ الله من عيني نورهمـا ففـي لسانـي وقلبي منهمـا نور

قلبي ذكور وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور (١) .

عن محمد بن كعب القرظـي عن ابن عباس : أن عمر بن الخطاب جلس في رهط مـن المهاجرين من الصحـابة فذكروا ليلة القـدر فتكلم كل بما عـنده فقال عـمر : مالك يـاابن عباس صـامتا لاتتـكلم ؟ تكـلم ولاتمنعك الحداثة ، قال ابن عباس : فقلت : ياأمير المؤمنين : إن الله وتر يحب الوتر ، فـجعل أيام الـدنيا تدور عـلى سبع ، وخـلـق أرزاقـنا من سبع ، وخلـق الإنسان من سبع ، وخلـق فوقنا سماوات سـبعًا ، وخلق تحتـنا أراضين سبـعاً ، وأعطى مـن المثاني سـبعاً ، ونهـى في كتابـه عن نكاح الأقربين عن سبع ، وقسم الميراث فـي كتابه على سبع ، ونقع في السـجود من أجـسادنا عـلى سبـع ، وطاف رسول الـله ﷺ بالكعبـة سبعاً ، وبين الصفا والمروة سبعًا ، ورمى الجمار بسبع ، فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان ، فتعجب عمـر ، فقال : ما وافقني فيها أحد إلا هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسـه ثم قال : ياهؤلاء من يؤديني في هذا كأداء ابن عباس (٢) .

= العبـاس بعث ابنـه عبدالله في حاجة إلـى الرسول ﷺ فوجد عنده رجـلاً فرجع ولم يكلـمه من أجل مكان ذلـك الرجل ، فلقي الـعباس بعد ذلك رسـول الله ﷺ فقال : يارسول الله أرسلت اليك ابني فوجد عندك رجـلاً فرجع فلم يستطع أن يكلمك فرجع وراءه ، فقال الرسول ﷺ ، ياعم تـدري من ذاك الرجل ؟ قال: لا قال : ذاك جـبريل ، ولن يموت ابنك حتى يذهب بصره ، ويؤتى علماً .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ٣٤٨/٢ .

(٢) الإتقان في علوم القرآ ن للسيوطي ١٨٨/٢ .

٤ – الدأب والحرص على طلب العلم :

لقد نـهل ابن عباس مـن منهل بيـت النبوة مـاتوفر لديه مـن الوقت ولكن سنه لم تمكنه مـن التضلع فـي ذلك ، فقد توفي رسـول الله ﷺ وابن عـباس قد ناهـز الاحتلام، فـقد فاته مـن العلـم مافاتـه قبـل سـن التمييز ، لذا كان حـريصاً علي تعويض مافاته بتلقيـه من كبار الصحابة رضوان الـله عليـهم فـلازم على بـن أبي طالـب ، وتلقـى من عمـر بن الخطاب وعثمان بن عفان وغيرهم من المهاجرين والأنصار .

يقول ابـن عباس في ذلـك : لما قبض رسـول الله ﷺ ، قلت لرجل من الأنصار هـلم فلنسأل أصحـاب رسول الله ﷺ فإنهم اليـوم كثير ، قال : فقال : واعـجباً لك ياابن عبـاس أترى الناس يفتقـرون إليك وفي الناس من أصـحاب رسـول الـله ﷺ من فـيهـم ؟ قال : فـتركـت ذلك وأقبلت أسأل أصـحاب رسول الله ﷺ عن الحديـث فإن كان ليبلـغني الحديث عن الرجل فآتي بابه ... ، فـعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع النـاس حولي ليسألوني فيقول : هذا الـفتى كان أعقل مني (١) .

ولـم يعتمد ابن عـباس على قلبه العقول ، بل كان يكـتب مايسمعه من كـبار الصحـابة رضوان اللـه عليهـم خشية فـوات شيء منه ، فـقد روي أنه كان يأتـي أبا رافع فيقول : ماصنـع النبي ﷺ يوم كذا ، ومع ابن عباس من يكتب مايقول (٢) .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦٧/٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٢٣/٢ .

٥ – أدب ابن عباس مع الشيوخ في طلب العلم :

إن العلـم عبادة يحرص عـليها المؤمـن ومكانة العـلما ء عظيـمة في ميزان الإسـلام، ومن المنهج الـتربوي في الإسلام تلـقي العلم مـن أهله حسب الآداب الإسلامية ، فـأسلوب التلقي جزء من المنـهج لايتجزأ ، والعلم بثمراته ونتائجه ، وثمرات العلـم التطبيق العملي لمبادئه والالتزام بسلوكياته ، فـكم من عالم حوى العلم وأحاط بمسائله ولـكن لم ينتفع بعلمه لأنه جانب الالتزام بأحكامـه ، وكم من عالم كانت سيرته ضياء ونبراساً للـناس لأنه بورك في علمه وكـتب له القبول في القـلوب فكثر أتباعه وانتشرت آثاره .

إن الالتزام بالآداب الإسلامية عند التلقي عن الشيوخ ، وعند إلقائه على التلاميذ يجعل البركة في هـذا العلم ، ويضفي ضياء ورونقاً وبهاء عليه وهذا مانجده في سيرة حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما .

يقول ابن عباس : إنـه ليبلغني الحديث عن رجـل ، فآتي بابه ، وهو قائل فأتـوسد ردائي على بابه ، يسـفي الريح عليَّ من الـتراب ، فيخرج فيـراني فيقـول : ياابن عـم رسول اللــه ماجاء بـك ؟ هلا أرسلـت إلي فآتيك ، فأقول : لا أنا أحـق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث (١) .

ويقول : وجـدت علم رسول الله عند هذا الحي مـن الأنصار ، إن كنـت لأقيل بـباب أحدهـم ولو شئـت أن يؤذن لي عـليه لأذن ، لـكن ابتغي بذلك طيب نفسه (١) ، وعن الشـعبي قال : ركـب زيد بـن ثابت

---

(١) الإصابة ١٣٤/٦ .

فأخذ ابن عباس بركابه ، فقال زيد بن ثابت : لاتفعل ياابن عم رسول الله ، فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا ، فقبل زيد ثابت يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (١) .

ولقد كان عبدالله يتلقى تلك الآداب من شيوخه ، ومن والده العباس أيضا : عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال لي أبي : إن عمر يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة ، فاحفظ عني ثلاثا : لاتفشين له سرًا ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولايجربن عليك كذبًا ، قال الشعبي لابن عباس : كل واحدة خير من ألف ، فقال ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف (٢) .

٦ - الثقافة الموسوعية عند ابن عباس وقوة حجته في المحاورة :

لقد وفرت الاستعدادات والملكات الفطرية لدى ابن عباس وكذلك البيئة التي نشأ فيها ، وفر له كل ذلك ثقافة هائلة وعلماً وإحاطة بشتى فنون المعرفة .يقول عبدالله بن عتبة : كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال : بعلم من سبقه وفقهه فيما احتيج إليه من رأيه ، ومارأيت أحدًا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه ، ولاأعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولاأفقه في رأي منه ، ولاأعلم بشعر ولا عربية ولاتفسير القرآن ولاحساب ولابفريضة منه ، ولقد كان يجلس يوماً مايذكر فيه إلا الفقه ، ويوما للتأويل ، ويومًا

---

(١) الإصابة ١٣٤/٦ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٩/٨ .

للمغازي ، ويوماً للشعر ، ويومًا لأيام العرب ، وما رأيت قط عالما جلس إلا خضع له ، وما رأيت قط سائلا سأله إلا وجد عنده علما (١) .

ولئن كانت ثقافة ابن عباس الموسوعية لافتة لنظر كل من يختلط به ، فإن شفافية روحه ودقة استنباطه من آيات القرآن الكريم ، وجمال منطقه وأسلوب عرضه الشيِّق للهدايات القرآنية كانت تأخذ بالألباب .

روى الأعمش عن أبي وائل : قال : استخلف علي بن أبي طالب عبدالله بن عباس على الموسم فقرأ في خطبته سورة النور ففسرها تفسيراً لوسمعته الروم والديلم لأسلموا (٢) .

ولهذا النبوغ عند ابن عباس كان ينزله المسئولون في الدولة منزلته اللائقة ، وينتدبونه للمعضلات من الأمور وقد تقدم موقف عمر بن الخطاب منه بإدخاله مع شيوخ بدر للاستشارة في شئون الدولة .

وكذلك ماكان يعمله علي بن أبي طالب في استخلافه في موسم الحج .

ويروي لنا أبو نعيم في الحلية طرفًا من محاوراته مع الخوارج فيقول : عن عبدالله بن عباس قال : لما اعتزلت الحرورية ، قلت لعلي : ياأمير المؤمنين أبرد عني الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم ، قال : إني أتخوفهم عليك ، قال : قلت فلا إن شاء الله ، فلبست ماأقدر عليه من اليمانية ، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة ، فدخلت

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٢٦٨ .

(٢) أسد الغابة /١٩٢ .

على قوم لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم ، أيديهم كأنها ثفن (١) إبل ، وجوههم مقلبة من آثار السجود قال : فدخلت ، فقالوا : مرحباً بك ياابن عباس ماجاء بك ؟ قال : جئت أحدثكم .

على أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي ، وهم أعلم بتأويله فقال بعضهم : لاتحدثوه . وقال بعضهم لتحدثنه قال : قلت أخبروني ماتنقمون على ابن عم رسول الله - ﷺ وختنه ، وأول من آمن به وأصحاب رسول الله معه ؟ قالوا : ننقم عليه ثلاثا . قلت : وماهي ؟ قالوا : أولاً :من أنه حكم الرجال في دين الله ، وقد قال الله عز وجل ﴿إن الحكم إلا لله﴾؟ قلت : وماذا ؟ قالوا : قاتل ولم يغنم ، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم وإن كانوا مؤمنين ، لقد حرمت عليه دماؤهم ، قال : قلت :وماذا ؟ قالوا محا نفسه عن أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين . قال : قلت أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم ، وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ مالا تنكرون أترجعون ؟ قالوا : نعم ، قال قلت : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله، فإنه يقول :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ [المائدة /٩٥] وقال في المرأة وزوجها ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ [النساء /٣٥] .

أنشدكم الله أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح

(١) الثفنة من البعير : الركبة ومامس الأرض من جسمه إذا برك انظر لسان العرب /مادة ثفن ١٣/٧٨ .

ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟! .

فقالوا : اللهم فحقن دمائهم وصلاح ذات بينهم .

قال : أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .قال: وأما قولكم إنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم ؟ أتسبون أمكم ثم تستحلون منها ماتستحلون من غيرها ؟ فقد كفرتم .وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول :﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ [الأحزاب :٦] .

فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيتهما شئتم ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية على أ ن يكتب بينه وبينهم كتابًا فقال : أكتب هذا ماقضى عليه محمد رسول الله ... فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت ولاقاتلناك . ولكن اكتب محمد بن عبدالله فقال : والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، أكتب ياعلي : محمد بن عبدالله ، فرسول ﷺ كان أفضل من علي ، أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . فرجع منهم عشرون ألفاً وبقى أربعة آلاف فقتلوا (١) .

ويقول عطاء : مارأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، وأعظم خشية ، إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن

---

(١) الحلية لأبي نعيم - ٣١٨/١ ، ٣١٩ .

عنده وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع (١) .

ولهذه الثقافة الموسوعية لدى ابن عباس والحجة القوية والبيان المؤثر كان موئل الصحابة في قضاياهم العملية واختلافاتهم الفقهية .

قال ليث بن أبي سليم : قلت لطاووس : لزمت هذا الغلام يعني ابن عباس - وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ - فقال : إني رأيت سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ - إذ تدارؤا في شيء صاروا إلى قول ابن عباس (٢) .

ولقد أدرك طلاب العلم والمعرفة مكانة ابن عباس في العلم فكانوا يتزاحمون على بابه لينهلوا من معينه الثر .

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي صالح قال : لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً ، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق ، فما كان أحد يقدر أن يجيئ ولا أن يذهب ، قال : فدخلت عليه ، فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضع وضوءاً قال : فتوضأ وجلس : وقال : اخرج وقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل ، قال فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ماسألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/٣٢٤

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٣٦٧ .

والحجرة . فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم بـه وزادهم مثل ماسألوه عنه أو أكثر، ثم قال : إخوانكم فخـرجوا ، ثم قال : اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، فخرجت فقلت لهم ،قال : فدخلـوا حتى ملؤا البيت والحجرة فمـا سألوه عن شيء إلا أخبـرهم به وزادهم مثـله .ثم قال : إخـوانكم فخرجـوا . ثم قال : اخرج فـقل من أراد أن يسـأل عن الفـرائض ومـا أشبهـها فلـيدخـل ، قال : فخـرجت فآذنتـهم فدخلـوا حتى ملؤا الـبيت والحجـرة ، فما سألـوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله . ثم قال : إخوانكم فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشـعر والغريب من الكلام فليدخل قال : فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مـثله . قال : فلـو أن قريشًا فخرت بـذلك لكان لهـا فخراً ، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس (١) .

---

(١) حلية الأولياء ، لأبي نعيم ١/ ٣٢٠ ، ٣٢١ .

المبحث الثالث

مكانة ابن عباس وأقوال العلماء فيه

كان ابن عباس يتمتع بمكانة عالية بين الصحابة رضوان الله عليهم لهذا النبوغ العلمي والإمامة في كل فن من فنون المعرفة ، لذا كان يلقب بـ (حبر الأمة) ، وبحرها ، وربانيها ، وترجمان القرآن ، وأبي التفسير .

عن ابن عباس قال : دخلت على عمر بن الخطاب يوماً فسألني عن مسألة كتب بها يعلى بن أمية من اليمن فأجبته فيها ، فقال عمر : أشهد أنك تنطق عن بيت النبوة .

وكان علي بن أبي طالب يقول عنه : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق .

وقال معاوية بن أبي سفيان لعكرمة : مولاك والله أفقه من مات ومن عاش .

وقال عنه ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .وسأل رجل عبدالله بن عمر عن تفسير آية فقال : سل ابن عباس فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد ﷺ .

المبحث الرابع

منهج ابن عباس في التفسير :

إن المنهج الذي كان متبعا في عهد الصحابة عامة ونقلت الأجيال عنهم والتزمت به ، هو تفسير القرآن بالقرآن فكثير من آي القرآن يفسر بعضه بعضاً .

فما أجمل في موضع قد فصل في موضع آخر. وما عمم في مكان قد يخص في مكان آخر .وكثير من الآيات قيد إطلاقها في مواضع . وماذكر موجزاً قد نجد بسطه وبيانه في مواضع أخر .

فلا بد للمفسر أن يتبع الآيات التي تتكرر موضوعاتها في القرآن الكريم ليحيط بمعانيها ودلالاتها في السياقات التي ذكرت فيها ، ويتعرف على المنسوخ فيها ويعرف الناسخ ، أو يجمع بين ما ظاهره التعارض .

فإن لم يجد المفسر بغيته في تفسير القرآن بالقرآن انتقل إلى تفسيره بالسنة ، فمن المعلوم أن مهمة رسول الله ﷺ التبليغ والبيان يقول تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل :٤٤] .

وقد لفت رسول الله ﷺ أنظار المسلمين إلى هذا الشأن من حديثه وبيانه فقال : « **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته . يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه** » (١) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٣١/٤ .

وكان كثير من الصحابة ، يرجعون إلى أقوال أساتذتهم من صحابة رسول الله ﷺ مثل عمر وابن مسعود وعلي رضي الله عنهم . ويبقى بعد ذلك اللجوء إلى المأثور من أسباب النزول وتواريخ الأحداث والسير والمغازي .أو إلى لغة العرب ولهجاتهم وعاداتهم .

يستخدم كل ذلك في توضيح المعنى المراد من الآية الكريمة .

وهذا المنهج نلحظه في التفسير المروي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

أولاً : أمثلة على منهج ابن عباس في تفسير القرآن بالقرآن :

(١) فقد ورد عنه في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء :٢١] قال : **﴿ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾** يشير (١) إلى قوله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة :٢٢٩] .

(٢) وورد عنه في قوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة :٢٨٦] .

قال ابن عباس : هم المؤمنون وسع الله عليهم أمر دينهم ، فقال الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج :١٨٥] . وقال ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن :١٦] .

(٣) وعن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾** قال: « منه آيات

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٦٧/١ .

محكمات » هي الثلاث الايات من ههنا ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ .. ﴾ إلى ثلاث آيات من سورة الأنعام - ١٥١ - ١٥٢ والتي في بني اسرائيل ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ... ﴾ إلى آخر الأيات - ٣٣ - ٣٩ (١) .

(٤) وفي قوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء / ١٥] .

قال ابن عباس فكانت المرأة إذا فجرت حبست في البيوت حتى نزلت سورة النور قال تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ .. ﴾ [النور /٢] فجعل الله لهن سبيلاً فمن عمل شيئاً جلد وأرسل (٢) .

(٥) سأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿ **والله ربنا ماكنا مشركين** .. ﴾ وفي آية آخرى ﴿ **ولا يكتمون الله حديثا** .. ﴾ فقد كتموا ؟ ... قال ابن عباس أما قوله ﴿ **والله ربنا ماكنا مشركين** ... ﴾ فإنهم لما رأو أنه لايدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: تعالوا فلنجحد فقالوا : ﴿ **والله ربنا ماكنا مشركين** ﴾ فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم « فلا يكتمون الله حديثا .... » (٣) .

---

(١) تفسير الطبري ٦ / ١٧٤ بتحقيق أحمد شاكر والمستدرك للحاكم ٢٨٨/٢ وقال عنه صحيح ، ووافقه الذهبي .

(٢) الدر المنثور للسيوطي ١٢٩/٢ .

(٣) تفسير القرطبي ٣٦٠/٨ .

(٦) روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج :٣] . الشاهد : هو رسول الله ﷺ ثم تلا ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[النساء : ٤١] .

والمشهود يوم القيامة قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود :١٠٣] .

ثانياً : أمثلة على منهج ابن عباس في تفسير القرآن بالسنة النبوية :

(١) ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ [النساء :١] يورد ابن عباس قول رسول الله ﷺ : **« صلوا أرحامكم فإنه أبقى لكم في الحياة الدنيا وخير لكم في آخرتكم »** (١) .

(٢) وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ .. مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ .. ﴾ [النساء: ١٢] . قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ **« الضرار في الوصية من الكبائر »** (٢) .

(٣) وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً** ﴾ . قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ :**« من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر »** (٣) .

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ١١٧/٢ .

(٢) تفسير الطبري ٦٥/٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٨٤/٢ .

ثالثاً :أمثلة على تفسير ابن عباس للقرآن برأيه الموافق لعمومات القرآن والسنة :

(١) فقد روي عنه أنه فسر ﴿ **الصراط المستقيم** ﴾ [الفاتحة :٦] بدين الإسلام ، وهو قول عبدالله بن مسعود وجابر بن عبدالله .

(٢) قال الطبري : حدثني المثنى قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ يقول : من لم يطق الصوم إلا على جهد فله أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينا ، والحامل والمرضع والشيخ الكبير والذي به سقم دائم .

(٣) وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[البقرة :٢١٩] .

قال الطبري : حدثني علي بن داود قال حدثني أبو صالح قال حدثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الميسر القمار كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله .

« **قل فيهما إثم كبير** » يعنى ماينقص من الدين عند من يشربها . «**ومنافع للناس** » قال :يقول فيما يصيبون من لذتها وفرحها إذا شربوها.

(٤) وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾ [البقرة :٢٣٦] .

روى ابن جرير الطبري قال حدثني المثنى ، قال حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية عن علي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى

﴿ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا الرجل يتزوج المرأة ولم يسم لها صداقاً ، ثم يطلقها من قبل أن ينكحها فأمره الله سبحانه أن يمتعها على قدر عسره ويسره فإن كان موسراً متعها بخادم أو شبه ذلك وإن كان معسراً متعها بثلاثة أثواب أو نحو ذلك .

(٥) وفي تفسير قوله تعالى **﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ...﴾** [الآية البقرة : ٢٦٦] .

في صحيح البخاري سأل عمر أصحاب رسول الله ﷺ فقال : فيم ترون أنزلت **﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ....﴾** فقالوا : الله أعلم فغضب عمر فقال : قولوا : نعلم ، أولانعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء ياأمير المؤمنين ، فقال عمر : قل ياابن أخي ولاتحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضرب الله مثلاً لعمل قال عمر : أي عمل ؟ قال : لعمل ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله (١) .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسر ٥/١٦٤ .

رابعاً : من منهج ابن عباس التفسير باللغة العربية ، ولهجات العرب . والكلمات المستعربة :

إن ثقافة ابن عباس الموسوعية واطلاعه على أيام العرب ومعرفته بلهجات القبائل وإحاطته بالشعر العربي وتاريخهم في الجاهلية ، جعلته ترجمان القرآن حقًا.

فما من كلمة غريبة إلا ويعرف أصلها ومصدرها واستخدام أي قبيلة لها ، والاستدلال عليها من الشعر الجاهلي ، فقد روي عن ابن عباس في ذلك الكثير .

فقد نقل عن ابن عباس أنه فسر قوله تعالى ﴿**وأنتم سامدون**﴾ بالغناء ، وهي لغة يمانية . وأنه فسر قوله تعالى ﴿ **وكنتم قوما بورا** ﴾ بهلكى ، وهي لغة أهل عمان . وأنه فسر قوله تعالى : ﴿ **إن إبراهيم لحليم أواه منيب** ﴾ بالموقن . وهي لغة حبشية .وأنه فسر قوله تعالى ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ بحطب جهنم باللغة الزنجية . (١) .

وكان ابن عباس يقول : إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب .

يقول السيوطي (٢) : وأوعب ماورويناه عنه ، مسائل نافع بن الأزرق وقد أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب (الوقف) والطبراني في

---

(١) انظر هذه الروايات في الإتقان للسيوطي ١٣٣/١ - ١٣٨ .

(٢) الإتقان للسيوطي ١٢٠/١ .

(معجمه الكبير) وقد رايت ان اسوقها هنا بتمامها لتستفاد .

ثم ساق السيوطي السند فرفعه إلى حميد الأعرج وعبدالله بن أبي بكربن محمد عن أبيه قال : بينا عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة وقد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لاعلم له به . فقاما إليه ، فقالا له : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصداقه من كلام العرب ، فإن الله إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين . فقال ابن عباس : سلاني عمابدا لكما .

وساق السيوطي هذه المسائل مع جواب ابن عباس عن كل مسألة منها وشاهده من الشعر وبلغ مقدارها مائة وثمانين مسألة .

ونورد جملة منها :

قال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾[المعارج / ٣٧] ، فقال ابن عباس : عزين ، الحلق من الرفاق ، فسأله نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟ فقال : نعم ، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص :

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

وسأل ابن الأزرق عن قوله تعالى : ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة :٤٨] .

فقال ابن عباس الشرعة : الدين والمنهاج الطريق واستشهد بقول أبي سفيان الحارث بن عبدالمطلب .

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام دينا ومنهجاً

وسأل نافع عن معنى (حنان) في قوله تعالى ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [مريم : ١٣] . فقال ابن عباس : رحمة من عندنا ، واستشهد له ببيت طرفة بن العبد :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرأهون من بعض

وسأل ابن الأزرق عن معنى قوله تعالى ﴿ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٢] .

فقال ابن عباس : ملعوناً محبوساً من الخير . ولما سأله : وهل تعرف العرب ذلك ؟ أجاب نعم ، أما سمعت قول : عبدالله بن الزبعرىٰ :

إذا بارى الشيطان في سنن الغي ومن مال ميلة مثبور

وسأل ابن الأزرق عن معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ [مريم :٢٣] .

فقال ابن عباس : ألجأها ، ولما سأله نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

وسأل نافع بن الأزرق عن معنى قوله تعالى :﴿ وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ [طه :٤٢] . فقال ابن عباس : لاتضعفا عن أمري . واستشهد بقول الشاعر :

إني وجدّك ماونيت ولم أزل أبغي الفكاك له بكل سبيل

وسال نافع عن معنى قوله تعالى :﴿ شُوَاظٌ ﴾ [الرحمن :٣٥] .

فقال ابن عباس : الشواظ اللهب الذي لادخان له ، ولما سأله نافع : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت قول (أمية بن أبي الصلت) :

يظل يشُبُّ كيراً بعد كير ... وينفح دائبا لهب الشواظ *

* انظر الدراسة الأدبية لهذه المسائل في كتاب الإعجاز البياني للقرآن : (من ٢٦٩ - ٥٠٩) .

كلمة في تفسير (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) :

قام بجمع هذا الكتاب الإمام أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ت ٨١٧ صاحب القاموس المحيط . ولم يذكر الفيروز أبادي مصادره التي جمع منها هذه الأقوال المنسوبة إلى ابن عباس ، كما لم يذكر الأسانيد لكل الأقوال كما هو الشأن في التفسير بالمأثور عادة وكما فعله ابن جرير الطبري في تفسيره عندما ساق الأسانيد إلى الصحابة والتابعين الذين نقل أقوالهم في تفسير الآيات .ولم يقتصر الفيروز أبادي في هذا الكتاب على أقوال ابن عباس ، بل يضيف أحيانا إلى تفسير الآيات زيادات بقوله : ويقال كذا وكذا وربما ذكر سبب نزول الآيات ، وفيمن نزلت ، وهذا الأسلوب أشبه بأسلوب المتأخرين من المفسرين ولم يكن معهوداً في عصر الصحابة رضوان الله عليهم .

وأغلب الروايات المنسوبة إلى ابن عباس في هذا التفسير تدور حول محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . والكلبي متهم بالكذب .

يقول السيوطي : فإن انضم إلى ذلك - أي إلى طريق الكلبي - رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب (١) .

لذا كان لابد من عرض ماورد في هذا التفسير وغيره عن ابن عباس ، على قواعد الجرح والتعديل .

---

(١) الإتقان للسيوطي ١٨٩/٢ .

- وقد ورد عن ابن عباس في التفسير الشيء الكثير من الروايات (١) ، بطرق مختلفة ومن أجودها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه ، التي يقول الإمام أحمد ابن حنبل عنها : بمصر صحيفة في التفسير ، رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ماكان كثيرًا .

وعلى الرغم من اعتراض بعض المحدثين على هذا السند لأن علي ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير ، فإن ابن حجر العسقلاني يقول : بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة - والواسطة هي مجاهد أوسعيد بن جبير فلا ضير في ذلك .

وهذا السند عند البخاري وقد اعتمد عليه ، في صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس .

- ومن الأسانيد الجيدة عن ابن عباس إسناد : محمد بن إسحاق - صاحب السير - عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

- ومن الأسانيد المقبولة إسناد إسماعيل بن عبدالرحمن السدي -وهو السدي الكبير- عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس .

- وكذلك إسناد عبدالملك بن جريج عن ابن عباس .

---

(١) قام قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض بجمع مرويات ابن عباس من خلال كتب التفسير بالمأثور كتفسير ابن جرير وابن كثير والدرالمنثور للسيوطي ، وذلك بتكليف طلاب الدراسات العليا في القسم فكتب فيها أكثر من عشر رسائل ماجستير . ولكنها بقيت حبيسة القسم وننتظر طباعتها ونشرها ليستفاد منها . وكذلك تم جمع تفسير مشاهير المفسرين من الصحابة والتابعين . وحالها مثل حال تفسير ابن عباس .

أما الأسانيد الضعيفة التي رويت بـهـا أقوال ابن عباس في التفسير ، فمنها :

- إسناد عطية العوفي عن ابن عباس .
- وإسناد محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
- وإسناد مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني عن ابن عباس .

ولايعوّل على هذه الأسانيد مالم تتابع بغيرها .

ومن الملاحظ أن ابن جرير الطبري لـم يورد في تفسيـره عن طريق الاسنادين الأخـيرين (طريق الكـلبى) (وطريق مقـاتل) أي رواية عن أحد من الصحابة . وذلك لضعفهما ضعفا غير محتمل .

المبحث الخامس

مدرسة التفسير بمكة المكرمة

تخرج على يد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما مجموعة من العلماء عرفت فيما بعد بمدرسة التفسير بمكة .

وقد ساروا على منهج أستاذهم في تفسير القرآن الكريم وتوسعوا فيه وكانوا أعلم الناس بتفسير كتاب الله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

« وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما ، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم) (١) .

وفيما يلي تعريف موجز بأبرز رجالات هذه المدرسة :

١ – سعيد بن جبير :

هو سعيد بن جبير الكوفي أحد أعلام التابعين سمع ابن عباس كما سمع غيره من الصحابة وقد شهد له ابن عباس بالعلم والفضل عندما جاء أهل الكوفة يسألون في موسم الحج ،قال لهم : أليس فيكم سعيد ابن جبير ؟ ! .

وعن أشعث بن إسحاق يقال لسعيد بن جبير : جهبذ العلماء .
وقال عبدالملك بن أبي سليمان عن سعيد : كان يختم في ليلتين ،

---

(١) مقدمة التفسير لابن تيمية ص ٩٠ وما بعدها .

وقال ميمون بن مهران : مات سعيد بن جبير وماعلى ظهر الأرض رجل إلا وهو محتاج إلى علمه .

قتله الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين . بسبب خروجه مع ابن الأشعث (١) .

٢ - مجاهد بن جبر :

هو أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ، المفسر الحافظ مولى السائب بن أبي السائب كان من أبرز تلاميذ ابن عباس ، لزمه وقرأ عليه وكان أحد أوعية العلم ، وكان يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت ؟ وكيف كانت ؟ .

قال قتادة : أعلم من بقي بالتفسير مجاهد وقال خصيف : أعلمهم بالتفسير مجاهد .(٢) .

وعن أبي بكر الحنفي قال : سمعت سفيان الثوري يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به (٣) .

قرأ على مجاهد ابن كثير أبو عمرو بن العلاء ، وابن محيصن .

٣ - طاووس :

هو طاووس بن كيسان اليماني الجَنَدي ، روى عن ابن عباس

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٧٦، ٧٧ .

(٢) تفسير الطبري ١/٩١.

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٩٢.

وابي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت وغيرهم .

قال طاووس : أدركت خمسين من الصحابة .

كان يجلس إلى ابن عباس أكثر من جلوسه إلى غيره ، لذا عُدّ من تلاميذ ابن عباس ، شهد له ابن عباس بالورع والتقوى ،حيث يقول : إني لأظن طاووسا من أهل الجنة ، وقال النعمان بن الزبير الصنعاني : بعث أمير اليمن إلى طاووس بخمسمائة دينار فلم يقبلها ، وقال إبراهيم ابن ميسرة : مارأيت أحدًا الشريف والوضيع عنده بمنزلةٍ إلا طاووساً .

وقال عمرو بن دينار : مارأيت أحداً مثله ، كان شيخ أهل اليمن وفقيههم ، وكان كثير الحج فاتفق موته بمكة قبل التروية بيوم ، سنة ست ومائة ، وصلى عليه هشام بن عبدالملك (١) .

٤ - عطاء بن أبي رباح :

هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم أبو محمد الجندي اليماني ، نزيل مكة وأحد الفقهاء والأئمة ، ولد في خلافة عثمان ، وقيل في خلافة عمر ، سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وأم سلمة وغيرهم .

وقد شهد له ابن عباس بالعلم حيث قال: ياأهل مكة تجتمعون علي وعندكم عطاء وقال الأوزاعي : مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٩٨/١ .

وقال إسماعيل بن أمية : كان عطاء يطيل الصمت ، فإذا تكلم خيل إلينا أنه يؤيد ، وعن أبي جعفر الباقر قال: مابقي على وجه الأرض أعلم بمناسك الحج من عطاء ، وقال ابن سعد : كان ثقة عالماً كثير الحديث ، انتهت إليه الفتوى بمكة ، وقال أبو حنيفة : مالقيت أفضل من عطاء ، وقيل إنه حج أكثر من سبعين حجة (١) .

قال قتادة : أعلم التابعين أربعة : كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير ، وكان عكرمة أعلمهم بالسير ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام .

توفى عطاء سنة أربع عشرة ومائة .

٥ - الضحاك بن مزاحم :

هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي المفسر ، قال يحيى بن القطان : كان شعبة ينكر أن يكون الضحاك لقي ابن عباس قط .

وقال الطيالسي : حدثنا شعبة سمعت عبدالملك بن ميسرة يقول : الضحاك لم يلق ابن عباس وإنما لقي سعيد بن جبير فأخذ عنه التفسير .

وقال يحيى بن سعيد : الضحاك ضعيف عندنا ، وقال ابن عدي : الضحاك بن مزاحم إنما عرف التفسير ، فأما رواياته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنه ففي ذلك كله نظر ، وقد وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٩٨/١ .

وقال عبدالله بن احمد : سمعت ابي يقول : الضحاك بن مزاحم ثقة مأمون .مات سنة خمس ومائة وقيل سنة ست (١) .

٦ - عكرمة مولى ابن عباس :

هو أبو عبدالله عكرمة البربري ، الحبر العالم مولى ابن عباس ، روى عن مولاه وعائشة وأبي هريرة وعلي بن أبي طالب وغيرهم .

تضاربت أقوال العلماء فيه بين موثق ومجرح .

قال عنه أهل الجرح : إنه كان يرى رأي الخوارج ، لذلك أعرض عنه مالك ومسلم وأنه كان يدعي معرفة كل شيء في كتاب الله .

ونسب إلى طاووس قوله : لو أن مولى ابن عباس اتقى الله وكف عن بعض حديثه لشدت إليه المطايا .

أما أهل التعديل فيروون عن عمرو بن دينار قوله : سمعت أبا الشعثاء يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا أعلم الناس .

وروى مغيرة أن سعيد بن جبير قيل له : تعلم أحدًا أعلم منك ، قال : نعم عكرمة .

وعن الشعبي قال : مابقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة .

وقال قرة بن خالد : كان الحسن إذا قدم عكرمة البصرة أمسك عن التفسير والفتيا مادام عكرمة مقيمًا بها (٢) .

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٩٥ ، ٩٦ .

٧ - أبو الشعثاء :

هو جابـر بن زيد الأزدي البصـري صاحب ابن عبـاس ، روى عنه قتادة وأيوب وعمرو بـن دينار وطائفة ، وقد شهد له أستاذه ابن عباس بســعة علمـه بالتفـسير حيث قـال : لو أن أهل البـصرة نزلوا عـند قول جابر ابن زيد لأوسعهم علماً بما في كتـاب الله . وقال عمرو بن دينار: مارأيت أحـداً أعلم بالفتـيا مـن جــابر بن زيـد ولما توفي أبوالشعـثـاء قـال قـتـادة : اليـوم دفن علـم الأرض ، مــات سنــة ثلاث وتسعـيـن للهجرة (١) .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/٧٢ .



الفصل الثاني

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه
ومنهجه في التفسير

المبحث الأول : أوصافه الخلقية .

المبحث الثاني : إسلام عبدالله بن مسعود .

عبدالله بن مسعود الغلام المعلم يجهر بالقرآن .

المبحث الثالث : ملازمته لرسول الله ﷺ .

المبحث الرابع : عبدالله بن مسعود المجاهد .

المبحث الخامس : مكانة عبدالله بن مسعود .

المبحث السادس : عبدالله بن مسعود المقريء .

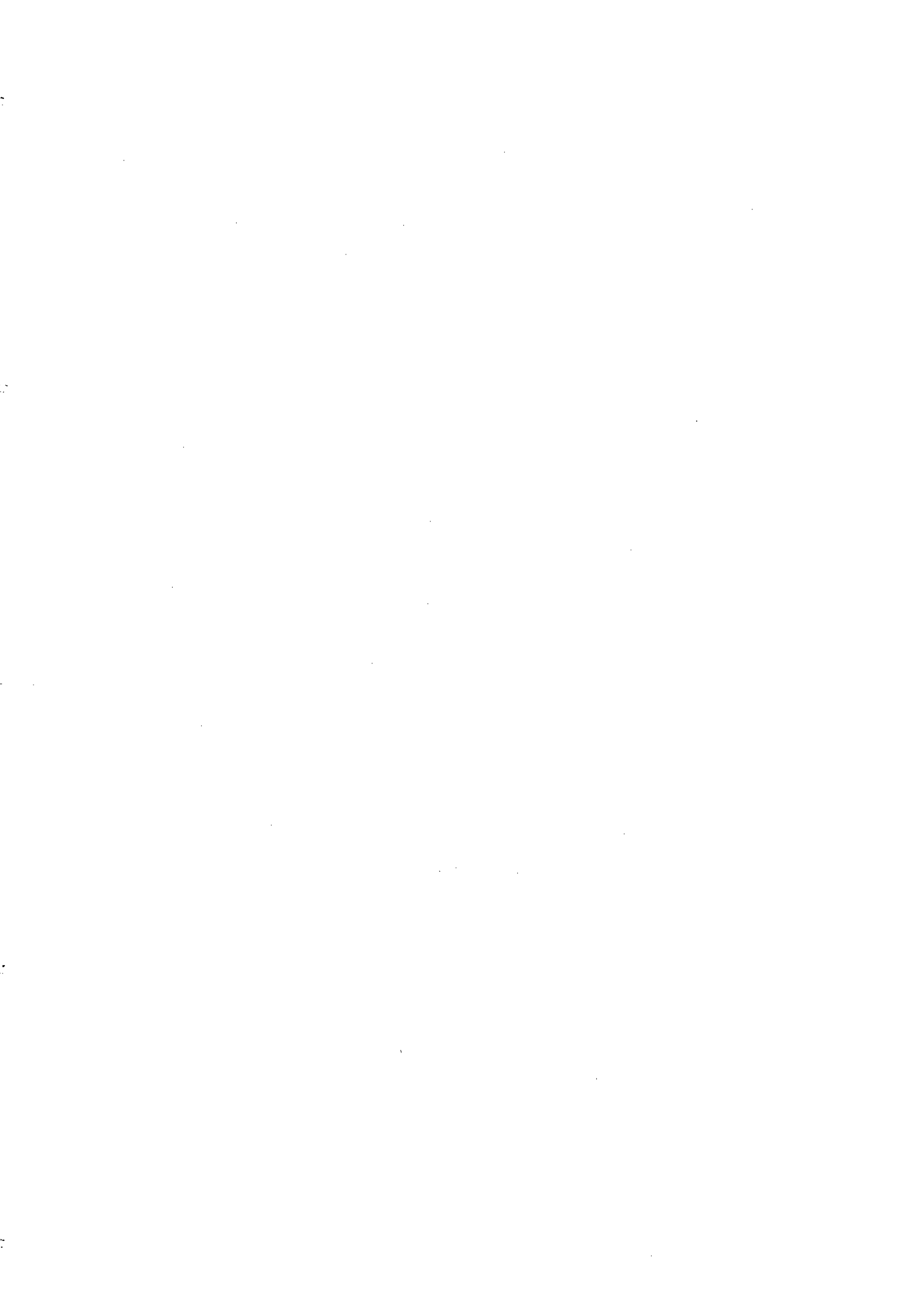
المبحث السابع : قراءة ابن مسعود ومصحفه .

المبحث الثامن : عبدالله بن مسعود المفسر ومنهجه في تفسير القرآن .

المبحث التاسع : تلاميذ عبدالله بن مسعود في الكوفة .

وفاة عبدالله بن مسعود .

المبحث العاشر : مدرسة التفسير بالكوفة وأبرز روادها .



اسمه ونسبه : هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر . يكنى بأبي عبدالرحمن ، ويلقب بابن أم عبد. وكان رسول الله ﷺ يلاطفه بذلك عند مناداته أو الإشارة إليه .

المبحث الأول
أوصافه الخلقية

كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قصيراً جداً نحيفًا ، آدم له ضفيرتان ، عليه مسحة أهل البادية وكان لايغير شيبه (١) .

عن زر بن حبيش عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكا من الأراك ، وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله ﷺ : « **مم تضحكون** » ؟ قالوا : يانبي الله من دقة ساقيه ، فقال :« **والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد** » (٢) .

وعن زيد بن وهب قال : إني لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود يكاد الجلوس يوارونه من قصره فضحك عمر حين رآه ، فجعل يكلم عمر ويضاحكه وهو قائم ، ثم ولّى ، فأتبعه عمر بصره حتى توارى فقال : كُنَيفٌ مُلِئَ علماً (٣) .

---

(١) انظر أوصاف ابن مسعود في مسند الإمام أحمد رقم ٣٩٦١ ، وسير أعلام النبلاء ٣٣٢/١ .

(٢) المسند : الحديث رقم ٣٩٩١ ١١٤/١ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك بنحوه وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وانظر أسد الغابة ٣٨٩/٣ .

وكان عبدالله بن مسعود نظيف الثوب ابيضه ، طيب الريـح ، عـن طلحـة قال : كان عبدالله يعرف بالليل بريح الطيب (١) .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/١٥٧ .

المبحث الثاني

إسلام عبدالله بن مسعود

لقد انطبعت صورة رسول الله ﷺ في مخيلة عبدالله بن مسعود في وقت مبكر في حياته فقد روى الحافظ الذهبي عن زيد بن وهب قال : قال عبدالله : إن أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ قدمت مكة مع عمومة لي - أو أناس من قومي - نبتاع منها متاعاً ، وكان في بغيتنا شراء عطر فأرشدونا على العباس ، فانتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم ، فجلسنا إليه ، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا ، أبيض تعلوه حمرة ، له وفرة جعدة إلى أنصاف أذنيه ، أشمّ ، أقنى ، أذلف ، أدعج العينين ، براق الثنايا ، دقيق المسربة ، شثن الكفين والقدمين ، كث اللحية ، عليه ثوبان أبيضان كأنه القمر ليلة البدر ، يمشي على يمينه غلام حسن الوجه ، مراهق أو محتلم ، تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها حتى قصد نحو الحجر ، فاستلم ، ثم استلم الغلام، واستلمت المرأة ، ثم طاف بالبيت سبعًا وهما يطوفان معه ، ثم استقبل الركن فرفع يديه وكبر ، وقام ثم ركع ، ثم سجدثم قام ، فرابنا شيء أنكرناه لم نكن نعرفه بمكة، فأقبلنا على العباس ، فقلنا : ياأبا الفضل ، إن هذا الدين حدث فيكم ، أو أمر لم نكن نعرفه ؟ قال : أجل ، والله ماتعرفون هذا ، هذا ابن أخي محمد بن عبدالله ، والغلام علي بن أبي طالب ، والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته، أما والله ماعلى وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة .(١) .

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٤٦٣/١ ط مؤسسة الرسالة .

وهذا الـوصف الدقـيق مـن ابن مسـعود للـرهط الـكريم يدل عـلى اهتمـام شديد بهـم، وانطباع هـذه الصورة في ذهـنه ، كما يـدل على مدى ذكائه وفطنته وهو يعبر عن هذا الحدث الغريب .

وعندما أراد الـله له الهداية ساق الخيـر إليه وهو يرعى غنـمه ، فعن زربن حبيـش ، عن ابن مسعود أنه قـال : كنت غلاماً يافعًا أرعـى غنماً لعقبـة بن أبي معيط فجـاء النبي ﷺ وأبوبكـر وقد فرا من المـشركين ، فقالا :« **ياغلام ، هل عندك من لبن تسقينا** » ؟ قلت : إني مؤتمن ، ولست ساقيكما ، فـقال النبي ﷺ : « **هل عندك جذعة لم ينـز عليها الفحل** » ؟ قلت : نـعم ، فأتيتـه بها ، فاعـتقلها الـنبي ﷺ ومسـح الضـرع ودعا ، فحفل الضـرع ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة مـنقعرة فاحتلب فـيها فشرب وشرب أبوبكر ، ثم شـربت ، ثم قال للضرع : اقلص ، فقـلص . فأتيته بعد ذلك ، فقلت : علـمني من هذا القول . قال :« **إنك غلام معلّم** » . قال: فأخذت من فيه سبعين سورة لاينازعني فيها أحد .(١) .

وهكذا كان ابن مـسعود سادس ستة وما على ظـهر الأرض مسلم غيرهم .(٢) .

---

(١) المسند : ٤٦٢/١ ، ٣٥٩٨ . ٤٤١٢،٣٥٩٩ . وحـلية الأولياء ١٢٥/١ ، والطبقات ١٥٠/٣ وأسد الغابة ٣٨٥/٣ . وسير أعلام النبلاء ٣٣٥/١ .

(٢) الإصابة ٢١٥/٦ .

عبدالله بن مسعود الغلام المعلّم يجهر بالقرآن

ولم يلبث عبدالله بن مسعود طويلا حتى التحق بركب الإيمان ولازم رسول الله ﷺ قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم . وبدأ ينهل من منابع العلم الصافي (الوحي) ويتعلم القرآن الكريم ويأخذه من فم رسول الله ﷺ .

وذات يوم اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا :والله ماسمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال عبدالله بن مسعود : أنا ، قالوا: إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال: دعوني فإن الله سيمنعني ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** - رافعاً بها صوته - **الرحمن علم القرآن** .... ﴾ قال : ثم استقبلها يقرؤها ، قال : فتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ماجاء به محمد ، فقاموا إليه فجعلوا يضربونه في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ماكان أعداء الله أهون علي منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا ، قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتهم مايكرهون (١) .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٤/١ . وأسد الغابة ٣٨٥/٣ .

المبحث الثالث

ملازمته لرسول الله ﷺ

ونال ابن مسعود مانال أصحاب رسول الله ﷺ الضعفاء من الأذى .فاضطرإلى الهجرة إلى الحبشة الهجرة الثانية ولكنه لم يلبث فيها طويلاً حتى عاد وهاجر إلى المدينة المنورة ليقوي شوكة المسلمين ويرسخ دعائم الدولة الإسلامية فيها ويقريء القرآن ويحضر مع رسول الله المشاهد .

لقد أدرك عبدالله بن مسعود وهو الفتى الألمعي أن الخير كل الخير في العلم والعمل ، ولامصدر للعلم إلا الرسول ﷺ الذي ينزل عليه الوحي ، ولاعمل إلا من خلال التأسي بالرسول ﷺ . فعزم على ملازمة رسول الله ﷺ في الحضر والسفر وأن يكون له كالظل لايفارقه إلا في خاصة أحواله .

وأدرك رسول الله ﷺ هذا الحرص والإخلاص عند عبدالله بن مسعود فيسّر له ذلك ومهد له الطريق ، يقول عبدالله بن مسعود : قال لي رسول الله ﷺ : « **إذنك عليّ أن يرفع الحجاب ، وأن تستمع سوادي حتى أنهاك** » (١) .

وكانت لهذه الملازمةأثرها في نقل أحوال الرسول ﷺ وأفعاله وخاصة في صلاته وقيامه فابن مسعود أدق من ينقل عنه تفصيلاتها .

وكان ابن مسعود صاحب سواد رسول الله ﷺ - يعني سره -

---

(١) صحيح مسلم ٧/ ١٤٧/ ١٤٨ والمسند : ٣٦٨٤ ج ١ /٣٨٨ .

ووساده - يعني فراشه - وسواكه ، ونعليه ، وطهوره . وهذا يكون في السفر (١) .

وأما في الحضر فيقول أبوموسى الأشعري رضي الله عنه : قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً مانرى إلا أن عبدالله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ (٢) .

---

(١) الطبقات الكبرى / ابن سعد ١٥٣/٣ .

(٢) صحيح البخاري ٢١٩/٤ وصحيح مسلم ١٤٧/٧ .

المبحث الرابع

عبدالله بن مسعود المجاهد

وحرص عبدالله بن مسعود على ملازمة رسول الله ﷺ في حله وترحاله ، فكان صاحب نعله ووضوئه وسواكه . وكان يدخل على رسول الله ﷺ كل وقت ، وكان الغريب يظنه أحد أفراد أسرة رسول الله ﷺ .

فلما كانت غزوة بدر شهدها عبدالله بن مسعود . ويقول في ذلك: قال النبي ﷺ يوم بدر : « **من ينظر مافعل أبوجهل** » .. فأتيت أباجهل وبه رمق ، وقد ضربه ابنا عفراء ، فقلت : أنت أبوجهل !! وأخذت بلحيته وهو صريع وقد ضربت رجله ، فقلت : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟ فقال : هل فوق رجل قتله قومه ، فلو غير أكار (١) قتلني ! قال : فضربته بسيفي وسيفه بيده ، فلم يغن شيئاً ، فبصق إلي وجهي ، وقال : سيفك كهام (٢) خذ سيفي فاحتزبه رأسي من عُرشي (٣) .

فأجهزت عليه ، فنفلني رسول الله ﷺ سيفه لما أجهزت عليه ، وكان قد أثخن . (٤) .

---

(١) الأكار : الفلاح .

(٢) كهام : كليل الحد لايقطع .

(٣) عرشي : العرش : عرق في أصل العنق .

(٤) جامع الأصول : ١٩٧/٨ ، وسيرة ابن هشام ج٣ /٤٢ . وصحيح البخاري – كتاب المغازي ٦/٥ .

وكان في غزوة أحد من القلة الباقية مع رسول الله ﷺ .
يقول عبدالله بن عباس : مابقي مع رسول الله ﷺ يوم أحد إلا أربعة ، أحدهم ابن مسعود (١) .

وفي غزوة الحديبية وبعد إبرام عقد الصلح مع مشركي مكة عاد المسلمون مع رسول الله أدراجهم إلى المدينة وفي الطريق يخبرنا عبدالله بن مسعود بهذه الواقعة ، قال : لما انصرفنا من غزوة الحديبية قال رسول الله ﷺ : من يحرسنا الليلة ؟ قال عبدالله فقلت : أنا ، حتى عاد مراراً ، فقلت : أنا يارسول الله ، قال : فأنت إذًا . قال : فحرستهم حتى إذا كان وجه الصبح أدركني قول رسول الله ﷺ : إنك تنام ، فنمت ، فما أيقظنا إلا حر الشمس في ظهورنا ، فقام رسول الله ﷺ وصنع كما كان يصنع من الوضوء وركعتي الفجر ، ثم صلى بنا الصبح ، فلما انصرف قال: إن الله عز وجل لو أراد ألا تناموا لم تناموا ، ولكن أراد أن تكونوا لمن بعدكم فهكذا لمن نام أو نسي .

وحضر عبدالله بن مسعود موقعة خيبر ، وشهد مع من شهد معجزات رسول الله ﷺ فيها ، وحضر الانتصار الباهر على اليهود .
كما حضر فعلة تلك المرأة اليهودية بتقديم الشاة المسمومة لرسول الله ﷺ وصحبه الكرام . وكان لابن مسعود رأي في أثر تلك الشاة على جسم رسول الله ﷺ . يقول في ذلك : لأن أحلف بالله تسعًا أن رسول الله ﷺ قُتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٣٦/١ .

وذلك بأن الله عز وجل اتخذه نبيّا وجعله شهيداً (١) .

وشهد عبدالله بن مسعود فتح مكة وكان مع رسول الله ﷺ في الذين ثبتوا معه في غزوة حنين . يقول في ذلك : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، قال : فولّى عنه الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ، ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عز وجل عليهم السكينة ، قال : ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدماً ، فحادت به بغلته فمال عن السرج ، فقلت له : ارتفع رفعك الله ، فقال : ناولني كفاً من تراب ، فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً ، ثم قال : أين المهاجرون والأنصار ؟ قلت : هم أولاء ، قال : اهتف بهم ، فهتفت بهم فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب ، وولى المشركون أدبارهم (٢) .

واستمر جهاد ابن مسعود بعد وفاة الرسول ﷺ ، فكان من النفر القليل الذين كلفهم أبوبكر رضي الله عنه بحراسة المدينة فكان مع علي والزبير وطلحة على أنقاب المدينة (٣) .

وفي معركة اليرموك التاريخية كان ابن مسعود من المشاركين فيها وكان على الأقباض.(٤) .

وفي خلافة عمر بن الخطاب ، أرسله عمر إلى الكوفة لينشر

---

(١) المسند ج١/٣٨١، ٣٦١٧ والحاكم وعبدالرزاق في المصنف . ويؤيد هذا الرأي مارواه .. «مازالت أكلة خيبر تعاودني حتى حان قطع أبهري » .

(٢) المسند ج١/٤٥٤، ٤٣٣٦ ، وانظر تفسير ابن كثير ٧١/٤ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢٤٤/٣ .

(٤) الأقباض : جمع قبض ، وهو مايجمع من الغنائم .

الإسلام ويفقه طلاب المعرفة ويقريء القرآن . وقد كان من أركان الدولة ومن كبار مستشاري عمر في شؤونها وقد كتب عمر إلى أهل الكوفة رسالة يقول فيها :

(..إنني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرًا ، وعبدالله معلمًا ووزيرًا ، وإنهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أصحاب بدر ، وقد جعلت عبدالله بن مسعود على بيت مالكم ، فتعلموا منهما ، واقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بعبد الله ابن مسعود على نفسي) (١) .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٦ .

المبحث الخامس

مكانة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

عن علقمة عن عبدالله قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة :٩٣]. قال لي رسول الله ﷺ : « **قيل لي أنت منهم** » (١) .

إنها شهادة من رب العالمين أن عبدالله بن مسعود من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهو من المحسنين الذين يحبهم الله .

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ منهم ابن مسعود . قال : كنا نستبق إلى النبي ﷺ ، وندنومنه ، ونسمع منه، فقالت قريش : يدني هؤلاء دوننا ؟ فنزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام :٥١] .

وقيل مثل هذا في سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف :٢٨] (٢) .

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ١٤٧/٧ رقم ٢٤٥٩ والترمذي كتاب تفسير القرآن ٣٢١/٤.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٦ .

وهذه شهادة لنفر من صحابة رسول الله ﷺومنهم ابن مسعود بالإخلاص وملازمة العبادة .

عن مسروق قال : كنا نأتي عبدالله بن عمرو فنتحدث إليه ، فذكرنا يومًا عبدالله بن مسعود ، فقال : لقد ذكرتم رجلاً لاأزال أحبه بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد – فبدأ به – ومعاذ بن جبل ، وأبي ابن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة** » (١) .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال : «**إني لاأدري ماقدر بقائي فيكم ، فاقتدوا باللذين من بعدي – وأشار إلى أبي بكر وعمر – واهتدوا بهدي عمار ، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه**» (٢) .

عن زر بن حبيش عن عبدالله : أن النبي ﷺ أتاه مع أبي بكر وعمر ، وعبدالله يصلي فافتتح النساء فسحلها – أي قرأها متصلة – فقال النبي ﷺ : «**من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ، ثم تقدم فسأل ، فجعل النبي ﷺ يقول : سل تعطه ، سل تعطه** » فقال فيما سأل : اللهم إني أسألك إيماناً لايرتد، ونعيماً لاينفد ، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد ، قال : فأتى عمر رضي الله عنه عبدالله يبشره ، فوجد أبا بكر رضوان الله عليه قد سبقه ،

---

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة ٢١٨/٤ رقم ٣٧٦٠ ، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ج ١٤٨/٧ رقم ٢٤٦٤ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب المناقب رقم ٣٨٨٧ وقال حديث حسن ، وأحمد ٣٨٥/٥ .

فقال : إن فعلت ، لقد كنت سباقا بالخير . (١) .

عن أبي البختري قال : أتينا علياً فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ ، فقال : عن أيهم ؟ قال : قلنا حدثنا عن عبد الله بن مسعود ، قال : علم القرآن والسنة ، ثم انتهى وكفى بذلك علماً (٢) .

عن حبة بن جوين قال : كنا عند علي فذكرنا بعض قول عبدالله ، وأثنى القوم عليه ، فقالوا : ياأمير المؤمنين مارأينا رجلا كان أحسن خلقاً ، ولا أرفق تعليماً ، ولاأحسن مجالسة ، ولا أشد ورعًا ، من عبدالله بن مسعود ، فقال علي : نشدتكم الله ، إنه لصدق من قلوبكم ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم إني أشهدك ، اللهم إني أقول فيه مثل ماقالوا أو أفضل .(٣) .

عن عبدالرحمن بن يزيد قال : أتينا حذيفة فقلنا : حدثنا بأقرب الناس من رسول الله ﷺ هدياً ودلاً فنأخذ عنه ونسمع منه ، قال : كان أقرب الناس هديًا ودلاً وسمتًا برسول الله ﷺ ابن مسعود حتى يتوارى منا في بيته ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى (٤) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤٤٦/١ رقم ٣٦٦٢ ، ٤٢٥٥ ، ٤٣٤٠ وأخرجه الترمذي بنحوه .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٤٦/٢ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٥٦/٣ .

(٤) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة ٢١٩/٤ رقم ٣٧٦٢ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٨٩/٥ .

عن مسروق بن الاجدع قال : لقد جالست اصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ ، فالإخاذ يروي الرجل والإخاذ يروي الرجلين والإخاذ يروي العشرة ، والإخاذ يروي المائة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم ، فوجدت عبدالله بن مسعود من ذلك الإخاذ (١).

عن زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب : ياأبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال : يرحمه الله ، لقد أراد أن لايتكلوا ولقد علم أنها في شهر رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين . قال : قلنا : ياأبا المنذر ، بأي شيء تعرف ذلك ؟ قال بالعلامة التي أخبرنا رسول الله ﷺ « **أن الشمس تطلع من ذلك اليوم لاشعاع فيها** » (٢) .

عن مسروق بن الأجدع قال : كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ : عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وزيد ، وأبي بن كعب ، وأبو موسى الأشعري (٣) .

ويقول عامر الشعبي : كان علماء هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ستة : عمر ، وعبدالله ، وزيد بن ثابت . فإذا قال عمر قولاً ، وقال هذان قولاً ، كان قولهما لقوله تبعًا ، وعلي وأبي بن كعب ، وأبو موسى الأشعري . فإذا قال علي قولاً ، وقال هذان قولاً ، كان قوله تبعاً (٤) .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٤٣/٢ ، حياة الصحابة٧٩١/٣ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الصيام ١٧٤/٣ الحديث رقم ١١٦٩، مسند الإمام أحمد ٤٠٦/١ . والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٢/٤ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣٥١/٢ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣٥١/٢ .

اي ان عبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت كانا من خواص عمر ومن تلقيا العلم عنه .

وأما أُبي بن كعب وأبوموسى الأشعري فكانا من الملازمين لعلي ابن أبي طالب ومن رواته وخواصه .

المبحث السادس

عبدالله بن مسعود المقريء ، ومكانته بين قراء الصحابة

كان لحرص عبدالله بن مسعود على ملازمة رسول الله ﷺ أثرها في تكوينه العلمي ، وقد تقدمت الرواية التي يقول فيها :(والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ..) (١) .

ومعنى أخذه من فم الرسول ﷺ أنه كان يرتلها كما تلقاها عن رسول الله ، ويؤديها كما أنزلت وكما قرأها رسول الله ﷺ عليه ، وهذه ميزة عظيمة وإليها الإشارة في قوله ﷺ : « **من أراد أن يسمع القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليقرأه** – فليسمعه – **من ابن أم عبد** » (٢) .

وهذه لفتة كريمة من رسول الله ﷺ ليدرك الصحابة مكانة عبدالله بن مسعود في هذا الجانب ، ليستفيدوا منه ، ولينمى في عبدالله بن مسعود هذه الخصلة من الحرص على الخير وتعلم القرآن وتعليمه ، وأرشد صحابته للأخذ من ابن مسعود فقال : « **خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة** » (٣) .

ولم يكتف بالتشجيع والإشارة إلى هذه المزية لعبدالله ، بل طلب منه أن يقرأ عليه القرآن . يقول عبدالله بن مسعود : قال لي رسول الله ﷺ اقرأ علي . قال : قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟! قال : إني

---

(١) صحيح البخاري ١٠٢/٦ ، ومسلم ١٤٨/٧ .

(٢) المسند : ٤٢٥٥ ، ٤٣٤٠ ، ٧/١.

(٣) صحيح البخاري فضائل الصحابة ٢١٨/٤ ومسلم فضائل الصحابة ١٤٨/٧ .

اشتهي ان اسمعه من غيري ، قال: فقرات النساء حتى إذا بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال لي : كف - أو أمسك - فرأيت عينيه تذرفان » (١) .

ولئن كان عبدالله من الرعيل الأول الذي تلقى من فم رسول الله ﷺ حيث يقول في ذلك تلميذه عبدالرحمن بن يزيد : سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل - يعني الإسراء - والكهف ومريم وطه والأنبياء ، إنهم من العتاق الأول ، وهن من تلادي (٢) . فقد استمر هذا التلقي ليحضر مع رسول الله ﷺ العرضة الأخيرة : عن أبي ظبيان قال : قال لي عبدالله بن عباس : أي القراءتين تقرأ ؟ قلت : القراءة الأولى ، قراءة ابن أم عبد ، فقال : أجل ، هي الأخيرة ، إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبرائيل في كل عام مرة ، فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرتين فحضر ذلك عبدالله ، فعلم مانسخ من ذلك ومابدِّل (٣) .

ونظرًا لثقة عبدالله بن مسعود بقراءته التي تلقاها عن رسول الله ﷺ ، كان يتمسك بها ، ويحاجج عن قراءته . ففي حياة رسول الله كان ذلك :

عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال : أقرأني رسول الله ﷺ سورة الأحقاف، وأقرأها رجلاً آخر ، فخالفني في آية ، فقلت له : من

---

(١) صحيح البخاري ١١٣/٦ ، صحيح مسلم ١٩٥/٢ .

(٢) انظرصحيح البخاري ١٠١/٦ .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ٣٦٣/١ ، وقال ابن حجر في كتاب الفتح شرح الحديث رقم ٤٩٩٧ : إسناده صحيح .

أقرأكها ؟ فقال : رسول الله ﷺ ، فأتيته وهو في نفر ، فقلت : يارسول الله ، ألم تقرئني آية كذا وكذا ؟ فقال : بلى ، قال : قلت فإن هذا يزعم أنك أقرأتها إياه كذا وكذا ..فتغير وجه رسول الله ﷺ ، فقال الرجل الذي عنده : ليقرأ كل رجل منكم كما سمع ، فإنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف ، قال : فوالله ماأدري رسول الله ﷺ أمره بذلك أم هو قاله (١) .

واستمر هذا التمسك من عبدالله بن مسعود بالقراءة التي تلقاها من فم رسول الله ﷺ طيلة حياته ، ولما جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس على حرف قريش وأمر بحرق المصاحف التي تخالف هذا الحرف ، كان لعبد الله بن مسعود موقف معارض لهذا وكان يرى أن الحرف الذي تلقاه من رسول الله ﷺ أولى بالاتباع ، كما أنه وجد في نفسه عدم مشاركته في جمع المصاحف وكتابته ، لذا نقل عنه ذلك : يقول شقيق بن سلمة - وهو من أخص تلاميذ ابن مسعود - : خطبنا عبدالله بن مسعود فقال : لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة وزيد بن ثابت غلام له ذؤابتان يلعب مع الغلمان . (٢) .

وفي رواية عند الترمذي عن ابن مسعود قال : يامعشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر (٣) .

---

(١) المسند : ٣٩٩٢ . جـ١ /٤٢١ ، ومسلم ٥٧/٨ .

(٢) المسند :٤١١/١ / ٣٩٠٦ ، والنسائي ١٣٤/٨ ، وصحيح البخاري باب القراء من أصحاب النبي ﷺ جـ ٦ ص ١٠٢ ، ومسلم : الفضائل جـ ٧ ص ١٤٨ من غير زيادة وزيد بن ثابت .....

(٣) الترمذي : ٣٤٨/٤ .

لقد كانت حجة عثمان رضي الله عنه واضحة جلية وايده جمهور الصحابة رضوان الله عليهم فقد أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافية وافية وكان الخيار لمن يقرأ بأيها شاء . فلما صارت مثار خلاف وفتنة بين المسلمين وتعصب أهل كل قطر لقراءة الصحابي الذي أخذوا منه ، وقد جهلوا أن الأحرف السبعة كلها كافية شافية ، ولم يكن بين أيديهم مصحف يرجعون إليه عند الاختلاف ، أقدم عثمان على خطوته الموفقة بعد أن استشار الصحابة وأشاروا عليه بذلك ، ولقد قال علي رضي الله عنه حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته (١) .وذلك لأن الحفاظ على وحدة المسلمين وقطع دابر الفتنة بينهم على كتاب ربهم أولى من الحفاظ على قراءات جاءت للتخفيف والتيسير على العاجزين بالنطق بكلمات على لغة قريش . ومن القواعد الشرعية الكلية (دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة) .

كما أن الجمع تم بالمدينة وتحت ظروف ملحة ، فلما عاد حذيفة بن اليمان من الثغور – وكان يغازي أهل الشام والعراق في أذربيجان وأرمينيا – لم يدخل داره وذهب إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان وقال : ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في كتاب ربها اختلاف اليهود والنصارى . وكان عبدالله بن مسعود في الكوفة ، وكان في صحابة رسول الله العدد الوافر الذي يقوم بالمهمة فلم يستدع الأمر تأجيل الموضوع لحضور عبدالله بن مسعود . رضي الله عنهم جميعاً .

---

(١) فضائل القرآن : ٢٢ .

كما ان زيد بن ثابت رضي الله عنه - وهو كاتب الوحي لرسول الله ﷺ وقام بجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه - قد اكتسب خبرة عظيمة في الرسم والنسخ فمن أولى منه بذلك وقد قال عنه أبو بكر : إنك شاب عاقل لانتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فقم واجمع القرآن (١) .

وقد جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ وحضر العرضة الأخيرة ، وكان يقريء الناس بقراءة رسول الله ﷺ ، فكان مؤهلاً لتحمل هذه المهمة على خير وجه .

كان لعبد الله بن مسعود قراءات على لهجة هذيل ، ولهجة قريش هي الأصل وهي التي نزل القرآن بها . فإصرار ابن مسعود على تلك القراءة على لهجة هذيل ومحاولته حمل الصحابة عليها دون غيرها لايقرعليه .

وقد نقل عن بعض الصحابة كرههم لموقف عبدالله بن مسعود حينما أمر بغل المصاحف وعدم إحراقها .

ولعل وجه المصلحة لم يظهر لعبد الله بن مسعود بادي ذي بدء ، ثم لما ظهر له ذلك تراجع عن موقفه السابق وحرق مصحفه الخاص والتزم الجماعة ، وهذا ماأكده الذهبي وابن كثير وابن الأثير في تواريخهم (٢) .

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير ٢١٠/٥ ، الترمذي ٣٤٧/٤ .

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ٥٤/٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٣٤٩/١ ، وفضائل القرآن : ١٨ .

المبحث السابع

قراءة ابن مسعود ومصحفه

لقد رويت عن ابن مسعود قراءات وروايات منها الصحيح ومنها غير ذلك ، وكلها تخالف المصحف العثماني تلاوة أو رسمًا فمثلاً مما يخالف الرسم قراءته :

- ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج .

- وقرأ ﴿ فصيام ثلاثة أيام ﴾ (متتابعات) .

- وقرأ ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا ﴾ (أيمانهما) .

- وقرأ ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (يوم القيامة) .

- وقرأ ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ﴾ والذكر والأنثى .

- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ في قراءة ابن مسعود : « ولن تُسألَ عن أصحاب الجحيم » [البقرة : ١١٩] .

- وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ في قراءة ابن مسعود: « فهلا كانت قرية آمنت » [يونس :٩٨] .

- وقوله تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ قرأها ابن مسعود : « إني أراني أعصر عنباً » [يوسف :٣٦] .

- وقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ قرأها : « ووصى

ربك الا تعبدوا إلا إياه » [الإسراء :٢٣] .

- وقوله تعالى : ﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ في قراءته : « **لننشربه** » [الفرقان :٤٩].

- وقوله تعالى : ﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ في قراءته : « **لمن أراد أن يتذكر** » [الفرقان :٦٢] .

ونلحظ أن هذه القراءات الخاصة بابن مسعود تخالف رسم المصحف وكثير منها يعوزها النقل الصحيح ، فضلاً عن التواتر . وهما شرطا القراءة إلى جانب موافقتها لوجه من العربية .

ونحن نقول إن هذه القراءات إما قراءات تفسيرية فسّربها عبدالله ابن مسعود بعض الكلمات ، أو أنها كانت من الأحرف السبعة التي جمع القرآن على خلافها كما تقدم . والله أعلم .

يقول الإمام النووي : « وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ماليس بثابت عند أهل النقل ، وما ثبت منها مخالفًا لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير ، مما يعتقد أنه ليس بقرآن ، وكان لايعتقد تحريم ذلك ، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها مايشاء » .

ومامن شك وبأدنى نظرة ندرك أن الكلمات الزائدة ليست من القرآن ، وهي من قبيل التفسير ، أما وضع كلمة مكان كلمة أو إسقاط كلمة فقد يكون من الحروف السبعة التي لم يكتب عليها المصحف الإمام . وكما تقدم فإن الأحرف السبعة كانت للتيسير فلما صارت مثار خلاف وفتنة أجمع الصحابة على جمع القرآن على حرف قريش

وترك ماسواه .

لذا أجمع الصحابة ومن بعدهم على عدم النظر إلى ماانفرد به عبدالله بن مسعود أو غيره كابن عباس ، وأبي ، وعائشة ، وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً . كما أجمع الصحابة على تجريد المصحف الإمام من القراءات التفسيرية أو الكلمات المبينة للحكم ، لكيلا يدخل في المصاحف ماليس قرآناً .

وماذكر من أن ابن مسعود لم يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه فمرده كما يقول ابن قتيبة : إن في ذلك ليس لظن ابن مسعود أنها ليست قرآناً - معاذالله - ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحتين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى أن ذلك مأمون في السورة القصيرة .

وتوجيه آخر أن ابن مسعود كان يرى أن الفاتحة هي فاتحة كل سورة فلو كتبت لكان ينبغي كتابتها مع كل سورة . وهذا اجتهاد منه رحمه الله ورضي عنه .

وقد نقل تلامذة ابن مسعود القرآن بكامله عنه شفاهاً ، ومن جملة مانقلوه الفاتحة والمعوذتان وتعود قراءة ثلاثة من القراء السبعة إلى ابن مسعود وهم عاصم ، وحمزة والكسائي وقراءة خلف وهو من القراء العشرة .

كما ذكرت بعض الروايات أن مصحفه يبدأ بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران . وهذا صريح في كونها إحدى سور القرآن .

المبحث الثامن

عبدالله بن مسعود المفسر ومنهجه في التفسير

كان لتقدم إسلام عبدالله بن مسعود وملازمته لرسول الله ﷺ الأثر الكبير في معرفة أسباب النزول والوقائع التي نزل بشأنها قرآن، كما أن هذه الصحبة الكريمة توجد ملكة وشفافية لاستجلاء معاني القرآن الكريم ، وهذا مانلحظه من خلال تصريح عبدالله بن مسعود وهو يعلن لطلاب المعرفة ليقصدوه عند الاحتياج :«والذي لاإله غيره مامن كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت ، ومامن آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحدًا هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه » (١) .

ولم يكن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مبالغًا فيما قال ، بل كانت مكانته في التفسير معلومة بين صحابة رسول الله يشار إليها بالبنان .

وعبدالله بن مسعود ينتسب إلى قبيلة هذيل ، وهي من القبائل ذات المكانة بين العرب في الفصاحة والشعر .

يضاف إلى ذلك تلك الروح الشفافة التي كانت تستشرف معاني الآيات من خلف الألفاظ والتعبيرات القرآنية .

ابن مسعود يتبع المنهج الأمثل في تفسير القرآن :

تفسير القرآن بالقرآن ، فإن لم يجد فبالسنة النبوية ، فإن لم يجد

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل ١٤٨/٧ رقم ٢٤٦٣ .

فباللغة العربية واجتهاداته المبنية على هدايات القران العامة والوقائع والأحداث .

فمن تفسير القرآن بالقرآن :

- عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى:

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾[غافر : ١١] قال : هي التي في البقرة : ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (١) [البقرة :٢٨] .

- وعن المخارق عن عبدالله قال : إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره ، فيقال له : من ربك ؟مادينك ؟ من نبيك ؟ فيثبته الله ، فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبي محمد ﷺ ، وقرأ عبدالله : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾(٢) [إبراهيم: ٢٧].

- وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ [آل عمران : ١٣] قال ابن مسعود : هذا يوم بدر ، نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحدًا ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ (٣) [الأنفال : ٤٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ١/١٢٦ . ط دار الأرقم .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٥٣٢.

(٣) تفسير الطبري ٣/١٣٠ .

وعن ابي الاحوص عن عبدالله قال : كاد الجعل ان يعذب في جحره بذنب ابن آدم ، ثم قرأ : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (١) [فاطر :٤٥] .

عن المخارق بن سليم قال : قال لنا عبدالله : إذا حدثناكم أتيناكم حديثاً بتصديق ذلك من كتاب الله ، إن العبد المسلم إذا قال : سبحان الله وبحمده ، والحمد لله ، ولاإله إلا الله والله أكبر ، تبارك الله ، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ، ثم صعد بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يجيء بهن وجه الرحمن عز وجل ، ثم قرأ عبدالله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (٢) [فاطر :١٠] .

تفسيره القرآن بالحديث النبوي :

- عن زر بن حبيش عن ابن مسعود في هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ١٤] . قال: قال رسول الله ﷺ : **« رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدرر والياقوت »** (٣) .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم :٣٢] . يقول ابن مسعود : زنى العينين النظر ، وزنى الشفتين التقبيل ، وزنى اليدين البطش ، وزنى الرجلين المشي ،

---

(١) تفسير ابن كثير . ٥٦٢/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير . ٥٤٩/٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢٤٨/٤ .

ويصدق ذلك الفرج او يكـذبه ، فإن تقدم بفرجه كـان زانيا ، وإلا فهو اللمـم .

وكأن ابـن مسعودأخـذ مضمـون حديث رسول الـله ﷺ ففسر به اللمم ، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظـه من الزنى ، أدرك ذلك لامـحالة ، فزنى الـعينين النـظر ، وزنى اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه** » (١).

وعن زر بن حبيـش عـن ابن مسعـود في تفسيـر قولـه تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [مريم : ٣٩]. قـال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النـار ، أتي بالموت في صورة كبش أملح ، حتـى يوقـف بـين الجنة والـنار ، ثم ينـادي منـاد : ياأهل الجنـة ، هذا الموت الذي كان يميت الناس فى الدنيا ، فـلا يبقى أحد في أعلى عليين ولا في أسفل درج من الجنة إلا نظر إليـه ، ثم ينادي : ياأهل النار ، هذا الموت الذي كان يميت الـناس في الدنيا ، فلا يبقى أحـد في ضحضاح من نار ولافي أسفـل درك من جهنم ، إلا نظر إليه ، ثم يـذبح بين الجنة والنار ، ثم ينـادي : ياأهل الجنة ، هو الخلود أبد الآبديـن ، ويأأهل النار هو الخلـود أبد الآبدين ، فيـفرح أهل الجنة فرحـة لو كان أحد ميتـاً من فرح ماتوا ، ويشهق أهل النار شهقـة لو كان أحد ميتًا من شهقة ماتوا ، فذلك قوله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ يقول : (إذا ذبح

---

(١) انظـر صحيح البـخاري كتـاب الاستئذان : ١٣٠/٧ وصـحيح مسـلم كتاب الـقدر : ٥٢/٨ .

الموت) (١) . وهذا ايضا مضمون حديث صحيح . (٢) .

(١) تفسير ابن كثير ١٢٢/٣ .
(٢) انظر الحديث صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن ٢٣٦/٥ وكذلك مسند الإمام أحمد ٣٧٧/٢ .

وفي هذه الروايات نجد أن ابن مسعود لـم يسند الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وذلك زيادة في الحرج والخوف من الوقوع في زيادة أو نقص في الحديث لئلا يقع تحت وعيد رسول الله ﷺ: « **من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** » لذا كان إذا نسب إلى رسول الله قولاً كرر : أو كما قال ، أو نحواً من هذا ، أو قريباً منه ، وهذا يفسر لنا مفتاح شخصيته قال : (إني مؤتمن ..) عن عمرو بن ميمون قال : اختلفت إلى عبدالله بن مسعود سنة ماسمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ ، ولا يقول فيها قال رسول الله ﷺ ، إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله ﷺ ، فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال : إن شاء الله إما فوق ذالك وإما قريب من ذاك وإما دون ذاك .

وعن مسروق عن عبدالله قال : حدث يوما حديثًا فقال : سمعت رسول الله ﷺ ، ثم أرعد وأرعدت ثيابه ، ثم قال : أو نحو ذا أو شبه ذا . الطبقات الكبرى لابن سعد : ١٥٦/١ ، ١٥٧ .

ومع ذلك يعتبر عبدالله بن مسعود من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ ، إلا أننا لو قارنا عدد الأحاديث التي رواها عن رسول الله ﷺ بالمدة التي لازم فيها رسول الله ﷺلرأيناها قليلة ، وذلك لتحرج عبدالله بن مسعود من نقل الحديث بمعناه أو بتغيير ألفاظه ، بل كان يحرص على التقيد باللفظ كما سمعه من رسول الله ﷺ . وهو سابع المكثرين في الرواية ، وهم بالتسلسل حسب كثرة روايتهم :

١ - أبوهريرة عبدالرحمن بن صخر	ت ٥٩هـ	روى	٥٣٧٤حديثاً .
٢ - عبدالله بن عمر	ت ٧٣هـ	روى	٢٦٣٠ حديثاً .
٣ - أنس بن مالك	ت ٩٣هـ	روى	٢٢٨٦حديثاً .
٤ - أم المؤمنين عائشة الصديقة	ت ٥٨هـ	روت	٢٢١٠حديثاً .
٥ - عبدالله بن عباس	ت ٦٨هـ	روى	١٦٦٠حديثاً .
٦ - جابر بن عبدالله	ت ٧٨هـ	روى	١٥٤٠ حديثاً .
٧ - عبد الله بن مسعود	ت ٣٢هـ	روى	٨٤٨ حديثاً .

وأوصلها الإمام أحمد في المسند إلى تسعمائة حديث مع المكرر .

- وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] قال : تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر .

- عن عبدالله بن مسعود قال : قال النبي ﷺ : « **مامن رجل له مال لايؤدي حق ماله إلا جعل طوقاً في عنقه شجاع أقرع ، وهو يفرمنه وهو يتبعه ، ثم قرأ مصداقه من كتاب الله تعالى** » ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ .. ﴾ (١) [آل عمران : ١٨٠] .

عن مسروق بن الأجدع قال : سألنا عبدالله -هو ابن مسعود - عن هذه الآية : ﴿ **ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك ، فقال : أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث تشاء ، ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يارب ، نريد أن تردّ أرواحنا في أجسامنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة ، تركوا (٢) .

---

(١) رواه البخاري كتاب الزكاه ١١١/٢ والترمذي كتاب التفسير ٢٩٩/٤ والمسند ٣٧٧/١ ، رقم ٣٥٧٧ . مع اختلاف في السياق .

(٢) مسلم ٣٩/٦ رقم ١٨٨٧ والترمذي كتاب التفسير ٢٩٩/٤ .

تفسير القرآن بفهمه على ضوء عمومات الإسلام :

- في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٧]. قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل (١) .

- في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم ﴾ [الحديد : ١٢] . قال : على قدر أعمالهم يمرون على الصراط: منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الجمل القائم ، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ أخرى . (٢) .

- وعن ابن مسعود قال : يحبس الأول على الآخر ، حتى إذا تكاملت العدة أتاهم جميعاً ، ثم بدأ بالأكابر ، فالأكابر جرماً ، وهو قوله : ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴾ (٣) . [مريم :٦٩] .

- وعن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبدالله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان :٦] .

فقال عبدالله : الغناء والله الذي لاإله إلا هو ، يرددها ثلاث مرات (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ١٩٢/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٣٠٨/٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ١٣١/٣ .

(٤) تفسير ابن كثير ، ٤٤١/٣ .

ـ وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة :١٣] . قال كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه (١) .

– عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال : مثل المؤمن والمنافق والكافر، مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى وادٍ ، فدفع أحدهم فعبر ، ثم دفع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي : ويلك أين تذهب ؟ إلى الهلكة ، ارجع عودك على بدئك ، وناداه الذي عبر : هلم إلى النجاة ، فجعل ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة ، قال : فجاء سيل فأغرقه ، فالذي عبر المؤمن ، والذي غرق المنافق ، ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٣]. والذي مكث الكافر (٢).

– عن مسروق قال : كنا عند عبدالله جلوساً ، وهو مضطجع بيننا ، فأتاه رجل فقال : ياأبا عبدالرحمن ، إن قاصاً عند أبواب كنده – أي باب الكوفة – يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، فقال عبدالله – وجلس وهو غضبان –: ياأيها الناس اتقوا الله ، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم ومن لايعلم فليقل : الله أعلم ، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لايعلم : الله أعلم ، فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص :٨٦] ، إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٥٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٨٦٦ ، وفي تفسير الطبري ٥/٢١٦ أورده مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ عن قتادة .

إدبارا فقـال :« **اللهم اجعـلها عليهم سبعا كـسبع يوسـف** » - او « **اجعلها عليهم سنين كسني يوسف** » - قال فأخذتهم سنة حصّت (١) كل شيء حتى أكلوا الجلـود والميتة من الجوع ، وينظر إلى السمـاء أحدهم فيرى كهـيئة الـدخان ، فأتاه أبـوسفيـان ، فقال : يـامحمد إنـك جئت تـأمر بطاعـة اللـه وبصلة الرحـم ، وإن قومك هلكـوا ، فادع الله لهـم ، قال الله عـز وجل : ﴿ **فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عذاب أليم** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **إنكـم عائدون** ﴾ [الدخان : ١٠ـ ١٥] قـال : أفيـكـشـف عذاب الآخـرة ؟ ! ﴿ **يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ** ﴾ [الدخان :١٦] فالبطشة يوم بدر ، وقد مضت آية الدخان، والبطشة ، واللزام ، وآية الروم .

وهذا التصحيـح من ابن مسعود لهذا الفهـم في الآية كما قال لأن سياق الآية يـعدهم بكشف العذاب والـدخان عنهم ، ويخبرهـم بأنهم سيـعودون ثانيـة إلى ماكانـوا فيه من الـتكذيـب والشـرك ممـا يجعلـهم يستحقون عذاب البطشـة الكبرى وهو يوم بدر .

وليـس معنـى هذا أن ابن مـسعود يـنكر وجـود الدخان قـبيل قـيام الساعة فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال :« **لاتقوم الساعة حتى تروا عشـر آيات : طـلوع الـشمـس من مغـربهـا ، والدخـان ، والدابـة ، وخروج يـأجوج ومـأجوج ، وخـروج عيسـى ابن مـريم ، وخـروج الدجـال ، وثلاثـة خسوف : خسف بالمـشرق وخسف بالمغرب وخسف بجـزيرة العرب ، ونار تخرج من قعرعدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم**

---

(١) حصت . أي أذهبته انظر لسان العرب ١٣/٧ .

حيث قالوا » رواه مسلم واهل السنن الأربعة (١) .

فهناك دخانان الدخان الوارد في سورة الدخان قد مضى وكان عذاباً لقريش بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسول الله ﷺ . أما الدخان الذي هو من علامات الساعة فليس مذكورا في هذه السورة . فمن الخطأ تفسير ذكر الدخان في السورة بالدخان الذي هو من علامات الساعة . وهذا ماصححه ابن مسعود رضي الله عنه .

---

(١) صحيح مسلم ١٧٩/٨ كتاب الفتن وأشراط الساعة .

المبحث التاسع
تلاميذ عبدالله بن مسعود في الكوفة

امتلأت الكوفة بالقراء والمحدثين والفقهاء من تلاميذ عبدالله بن مسعود ، حيث أبلغ بعض الثقات من أهل العلم - كالإمام السرخسي في المبسوط - عددهم ممن تفقه عليه وعلى أصحابه نحو أربعة آلاف عالم .

ولاغرابة في ذلك فقد جلس عبد الله بن مسعود في الكوفة بعد أن أرسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إليها معلماً ووزيراً فتفرغ للفتيا والتدريس وقصده طلاب المعرفة من أنحاء الدولة الإسلامية وبقي قرابة سنة وهو ملازم لهذه المهمة العظيمة .

ومن أشهر هؤلاء التلامذة : علقمة بن قيس النخعي ، والأسود بن زيد النخعي وعمرو بن شرحبيل الهمداني ، ومسروق بن الأجدع الهمداني ، وعبيدة السلماني وشريح بن الحارث القاضي ، وسليمان ابن ربيعة الباهلي ، وزيد بن صوحان وسويد بن غفلة ، والحارث بن قيس الجعفي ، وعبدالرحمن بن يزيد النخعي ، وعبدالله بن عتبة بن مسعود القاضي ، وخيثمة بن عبدالرحمن ، وسلمة بن صهيب ، ومالك بن عامر ، وعبدالله بن سخبره ، وزر بن حبيش ، وخلاس بن عمرو ، وعمرو بن ميمون الأودي ، وهمام بن الحارث ، والحارث بن سويد ، ويزيد بن معاوية النخعي ، والربيع بن خيثم ، وعتبة بن فرقد ، وصلة بن زفر ، وشريك بن حنبل ، وأبووائل شفيق بن سلمة ، وعبيد

ابن نضلة ... وغيرهم كثير (١) .

وفاة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه :

توفي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في المدينة المنورة بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء . عن عمر بلغ بضعاً وستين سنة ، قالوا : ثلاثاً وستين وكانت وفاته عام اثنين وثلاثين للهجرة .

وصلى عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢) .

ودفن بالبقيع بجوار قبر عثمان بن مظعون حسب وصيته .(٣) .

---

(١) انظر أعلام الموقعين ١/ ٢٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/١٦٠ .

(٣) المرجع السابق ٣/١٥٩ .

المبحث العاشر

مدرسة التفسير بالكوفة وأبرز روادها

لقد اشتهر من بين تلاميذ ابن مسعود بالإقراء وتفسير القرآن عدد من التابعين من أبرزهم :

علقمة بن قيس ، ومسروق بن الأجدع ، وعبيدة السلماني والأسود بن يزيد ، وعمرو بن شرحبيل ، وأبوعبدالرحمن السلمي .

قال ابن الجزري في ترجمة ابن مسعود : عرض القرآن على النبي ﷺ وعرض عليه - أي على ابن مسعود - الأسود ، وتميم بن حذلم ، والحارث بن قيس ، وزر ابن حبيش ، وعبيد بن قيس ، وعبيد بن نضلة ، وعلقمة ، وعبيدة السلماني ، وعمرو ابن شرحبيل ، وأبوعبد الرحمن السلمي ، وأبو عمرو الشيباني ، وزيد بن وهب ، ومسروق . (١) .

وإلى ابن مسعود تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش (٢) .

تخرج على يد عبدالله بن مسعود جمهرة من القراء والفقهاء والمفسرين فمنهم من تلقى العلم على يد ابن مسعود مباشرة ، ومنهم من تخرج على يد تلامذته ، وفيما يلي تعريف بأبرز علماء هذه المدرسة من القراء ومشاهير المفسرين .

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ٤٥٨/١ .

(٢) المرجع السابق ٤٥٩/١ .

١ - زر بن حبيش :

هو زر بن حبيش بن حباشة أبو مريم ، ويقال أبو مطرّف الأسدى الكوفي أحد الأعلام عرض على عبدالله بن مسعود ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم .عرض عليه عاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش وأبو إسحاق السبيعي ويحيى بن وثاب .

قال عاصم مارأيت أقرأ من زر ، وكان عبدالله بن مسعود يسأله عن العربية ، يعني عن اللغة ، مات سنة اثنين وثمانين في الجماجم (١) .

٢ - أبو عبدالرحمن السلمي :

عبدالله بن حبيب بن ربيعة أبو عبدالرحمن السلمي الضرير مقري الكوفة ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ولأبيه صحبة ، إليه انتهت القراءة تجويدًا وضبطاً أخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم .

أخذ القراءة عنه عرضاً عاصم وعطاء بن السائب وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم قال ابن مجاهد : أول من أقرأ الناس بالكوفة بالقراءة المجمع عليها أبو عبدالرحمن السلمي قال السبيعي : كان أبو عبدالرحمن يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة ، روى أبوعبد الرحمن السلمي عن عثمان عن النبي ﷺ : « **خيركم من تعلم القرآن**

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء للجزري ١/٢٩٤ .

وعلمه » وكان يقول : هذا الذي اقعدني هذا المقعد ، ولازال يقريء الناس من زمن عثمان إلى أن توفي سنة أربع وسبعين . وحديثه مخرج في الكتب الستة (١) .

٣ - عبيد بن نضلة :

أبو معاوية الخزاعي الكوفي تابعي ثقة أخذ القراءة عرضاً عن عبدالله بن مسعود وعرض أيضا على علقمة بن قيس ، روى القراءة عنه عرضاً يحيى بن وثاب وحمران بن أعين وكان مقريء أهل الكوفة في زمانه ، وقال عنه الكسائي كان من خيار أصحاب عبدالله .

قال ابن سعد توفي عبيد بن نضلة زمن بشر بن مروان .سنة خمس وسبعين .

خرج له مسلم في صحيحه (٢) .

٤ - علقمة بن قيس :

هو علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي .

ولد في حياة رسول الله ﷺ ، وسمع من عمر وعثمان وابن مسعود وعلي وأبي الدرداء جود القرآن على ابن مسعود وكان من أنبل أصحابه .

قال فيه ابن مسعود : ماأقرأ شيئاً وماأعلم شيئاً إلا وعلقمة يعلمه .

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء للجزري ٤١٣/١ .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء للجزري ٤٩٨/١ .

قال قابوس بن ابي ظبيان : قلت لابي : لاي شيء كنت تدع الصحابة وتأتي علقمة قال : أدركت نا ساً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يسألون علقمة ويستفتونه .

كان فقيهًا إماماً بارعاً طيب الصوت بالقرآن ، ثبتاً فيما ينقل صاحب خير وورع . كان شبه ابن مسعود في هديه ودله ، وسمته وفضله .مات سنة اثنتين وستين للهجرة . (١) .

٥ – عبيدة بن عمرو السلماني :

هو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي .أسلم أيام فتح مكة ، وأخذ عن علي وابن مسعود .قال فيه الشعبي : كان يوازي شريحاً في القضاء .

قال العجلي :عبيدة أحد أصحاب عبدالله الذين يقرءون ويفتون الناس ، وقال ابن سيرين : وكان أحد تلاميذه المكثرين عنه .

مات سنة اثنتين وسبعين (٢) .

٦ – مسروق :

هو أبوعائشة مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي أحد الأعلام ، كان أبوه فارس أهل اليمن في زمانه .

روى عن عمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وأبي .قال فيه الشعبي :

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤٨/١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٥٠/١ .

مارأيت أحدًا أطلب لـلعلم منه ، وكان أعـلم بالفتوى مـن شريح وكان شريح يستشيره .

قال ابـن المديـني عنـه : ماأقـدّم علـى مسروق أحـدًا من أصـحاب عبدالله .وقال ابن معين عنه : ثقة لايسأل عن مثله .

توفي سنة ثلاث وستين للهجرة (١) .

٧ – عامر الشعبي :

هو عامر بن شراحبيل الحميري الشعبي أبو عمرو الكوفي .

ولد لـست وستين سنين خلت مـن خلافة عمـر روي عنـه وعــن علـي وابن مـسعود ولـم يسـمع فيـهم وروى عـن أبي هريـرة وعائـشة وجرير وابن عباس وغيرهم .كان الشعبي إماما حافظا متقنا ثبتا .

كان يقول : أدركت خمسين من الصحابة . شهد له علماء عصره بغـزارة علمه وعـلومنزلـته روي عن مـكحول قولـه : مارأيت أعلـم من الشعبي .

قال أبـو بكر الهـزلي قال لي ابـن سيريـن : الزم الشعـبي فقد رأيـته يُستفتى والصحابة متوافرون وعلى الـرغم من علمه وفضله ، كان كثير الحرج في القـرآن الكريم ، فقد نقل عنـه قوله : ثلاثة لاأقول فيـهن حتى أموت : الـقرآن والـروح والرؤى وهو الـقائـل : والله مـامن أيـة إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله (٢) .

وثقه ابن معين ، وأبو زرعة

توفي سنة ثلاث ومائة . (٣) .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤٩/١ وخلاصة تذهيب الكمال ٣٧٤ .

(٢) تفسير الطبري ٨١٨/١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٧٩/١ . وخلاصة تذهيب الكمال ٣٧٤ .



الفصل الثالث

أبيّ بن كعب

المبحث الأول : اسمه ونسبه ووصفه .

المبحث الثاني : إسلام أبيّ بن كعب وكتابته للوحي .

المبحث الثالث : أبيّ بن كعب المقرىء ومكانته بين القراء .

المبحث الرابع : أبيّ بن كعب والمصحف .

المبحث الخامس : نماذج من قراءات أبيّ وتفسيره .

المبحث السادس : أبيّ بن كعب وحديث فضائل سور القرآن .

المبحث السابع : مدرسة التفسير بالمدينة المنورة .



المبحث الأول

اسمه ونسبه ووصفه

هوأبـي بن كعب بـن قيس بن عـبيد الأنصـاري الخزرجي من بـني النجار وأمه صهيلة بنت الأسود من بني النجار أيضاً .

يكنى أبا المنذر ، وكان رجلاً دحداحًا ، ليـس بالقصير ولابالطويل نحيفاً ، شـاحب الوجـه ، جلل الـشيب رأسـه ، وغلب الـبياض عـلى لحيته وكان لايغير شيبه (١) .

كان رضـي الله عـنه رث المـنزل ، رث الهـيئة والـكسـوة ، زاهدًا منـقطعاً ، غـني النفـس ، منصـرفاً عن الدنـيا ومتـاعهـا ، مـقبـلا عـلى الآخرة .

قال زر بن حبـيش : كانت في أبي بـن كعب شراسة ، فقـلت له : أبا المنذر ألن لي من جانبك فإني إنما أتمتع منك (٢) .

قال مسروق : سـألت أبي بن كعب عـن مسألة فقال : يـاابن أخي أكان هذا ؟ قـلت : لا ، قال فأحمـنا حتى يـكون ، فإذا كان اجتـهدنا لك رأينا (٣) .

هذا يدل على أن أبيًا كـان يكره الوقائع المفترضة والانـشغال بما لم يقع من الوقائع . فالأمة المجاهدة الواعيـة لاتميل إلى الترف الفكري وقد

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٩٨/٣ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٩٨/٣ .

(٣) المرجع السابق ٥٠٠/٣ .

أشرنا إلى جانب من ذلك عند الحديث عن التفسير في عهد الصحابة رضوان الله عليهم والحكمة من نهيهم عن السؤال في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ...﴾ الآية : [المائدة : ١٠١] (١) .

عن عتيّ بن ضمرة قال : قلت لأبي بن كعب : مالكم أصحاب رسول الله ﷺ نأتيكم من البعد نرجو عندكم الخبر أن تعلمونا فإذا أتيناكم استخففتم أمرنا كأنّا نهون عليكم ؟ فقال : والله لئن عشت إلى هذه الجمعة لأقولن فيها قولا لا أبالي استحييتموني عليه أو قتلتموني ، فلما كان يوم الجمعة من بين الأيام أتيت المدينة فإذا أهلها يموجون بعضهم في بعض في سككهم ، فقلت : ماشأن هؤلاء الناس ؟ قال بعضهم : أما أنت من أهل هذا البلد ؟ قلت : لا ، قال : فإنه قد مات سيد المسلمين اليوم أبي بن كعب .(٢) .

(١) انظر ماتقدم ص ٢٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥٠١/٣ .

المبحث الثاني

اسلام أبي بن كعب ، وكتابته للوحي

كان أبـي بن كعـب من الرهـط الخزرجيين الـذين حضـروا العقبة الثانية مع الرسول ﷺ وبا يعه فيها مع سبعين من الأنصار .

وهو من الـقلة الذين كانـوا تعلموا الـقراءة والكتابة قـبل الإسلام ، فلما أسلم استـعان به رسول الله ﷺ في كتابة الوحي ، وفـي مخاطباته لزعماء القبائل وأمراء الأقاليم .

فقد روي أن أبـي بن كعب تـولى كتاب رسـول الله ﷺ لخالد بن حمـاد الأزدي وكتـابه للـمنـذر بن سـاوى . وكتب الخـطاب الـسري لعبدالله بن جحش عـندما أرسله رسول الله ﷺ إلى بطن نخـلة لرصد عير قريش . وتولى كتـابة عهد رسول الله ﷺ لعمرو بن حـزم حين بعثه إلى اليمن .

وكان يتولى قراءة مـايرد إلى رسول الله ﷺ من مخاطبات وكتب فقد ذكرت كتب الـسيرة أنه تولى قراءة كتاب العباس بـن عبدالمطلب لرسول الله ﷺ الذي يخبره فـيه بخروج قريش في ثلاثـة آلاف مقاتل ، وكان ذلك قبيل غزوة أحد . وقرأ على رسول الله ﷺ كتاب الأخنس ابن شـريـق وأزهـر بن عبد عـوف ، الـذي تضمن مـطالبتهما بإعـادة أبي بصير إليهـم لما بـينهم وبين رسـول الله ﷺ من شـروط فـي صلح الحديبية . (١) .

---

(١) المرجع السابق ١/٢٦٧ ، ٢٧٦ .

المبحث الثالث

أبي بن كعب المقريء ، ومكانته بين القراء

كان رسول الله ﷺ ينمي الطاقات الإيجابية في أصحابه ويلفت الأنظار إلى الاستعداد الفطري لديهم ، ليدرك الصحابي هذا الجانب فيه فينميه .وليدرك باقي الصحابة هذا الجانب التخصصي فيه ، فيستفيدوا منه وهذا شأن التربية الربانية الراشدة في تفجير الطاقات والإفادة منها .

وأدرك الرسول ﷺ ماعند أبي بن كعب من موهبة في تلاوة القرآن واتقانه وتجويده فلفت الأنظار إلى ذلك .

- عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :« **أرحم أمتي بها أبوبكر ، وأقواهم في دين الله عمر ، وأقرؤهم لكتاب الله عز وجل أبي ابن كعب . .**»

- وروى حماد بن سلمة عن عاصم الأحول عن أبي قلابة أن رسول الله ﷺ قال: « **أقرؤكم أبي بن كعب** » وفي رواية « **أقرأ أمتي أبي ابن كعب**» (١) .

- عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله بن مسعود ، وسالم – مولى أبي حذيفة – ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب** » .

- عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك رضي الله عنه من جمع

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣١/١ .

القرآن على عهد النبي ﷺ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل وزيد ابن ثابت ، وأبوزيد (١) .

وقد خصه رسول الله ﷺ بشيء لم يظفر به أحد غير أبي بن كعب .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبي : « **إن الله أمرني أن أقرأ عليك** » قال : الله سماني لك ؟ ! قال : « **الله سماك لي** » قال : فجعل أبي يبكي (٢) .

وفي رواية أنه قال له : « **إني أمرت بعرض القرآن عليك** » فقال : يارسول الله ، بالله آمنت ، وعلى يديك أسلمت ، ومنك تعلمت ، فردد النبي ﷺ القول ، فقال أبي : فقد ذكرت هناك يارسول الله ؟! قال : « **نعم باسمك ونسبك** » فقال : أقرأ إذن يارسول الله (٣) .

وفي رواية عن أنس بن مالك أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ابن كعب : «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك** » ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب** ..﴾ قال : وسماني لك ؟! قال : « **نعم** » قال : فبكى (٤) .

وفي هذا مزية لأبي بن كعب لم يشاركه فيها أحد ، وحاول بعض الباحثين التعرف على وجه تخصيص أبي بقراءة هذه السورة عليه .

فذهب بعضهم إلى ترجيح الجانب التعليمي للاتقان والأداء لما

---

(١) انظر صحيح البخاري ١٨٩/٣ ، وصحيح مسلم شرح النووي ١٦ /١٩ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل ١٥٠/٧ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٤٩/٣ ، حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٥١/١ .

(٤) سنن الترمذي بشرح ابن العربي ٢٦٥/١٣ .

سيكون لأبي بن كعب شأن في التقدم والزعامة في إقراء القرآن (١) .

وربط بعضهم هذاالتخصيص بالحادثة التي جرت بينه وبين أحد الصحابة رضوان الله عليهم - قيل هو ابن مسعود ، وقيل غيره - فقد روى ابن جرير الطبري في تفسيره عن أبي بن كعب قال : سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي ، ثم سمعت آخر يقرؤها قراءة تخالف ذلك ، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت : إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل ، فسألتهما من أقرأهما ؟ فقالا: رسول الله ﷺ ، فقلت : لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ماأقرأني رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما : اقرأ ، فقرأ ، فقال «**أحسنت** » ثم قال للآخر : اقرأ ، فقرأ ، فقال : « **أحسنت** » قال أبي : فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي، فضرب بيده في صدري ، قال : « **اللهم أخسىء الشيطان عنه ، ياأبي ، أتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : رب خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت : رب خفف عن أمتى ، ثم أتا ني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت : رب خفف عن أمتي ، ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك ، وقلت مثله . ثم أتاني الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة ، فقلت يارب اغفر لأمتي ، يارب**

---

(٤) انظر في ذلك الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد محمد أبو شهبة ص ٨٨ .

اغفر لأمتي ، واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة » (١) .

فلما نزلت سورة ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .. ﴾ وفيها ﴿ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار لاقراءة تعلم واستذكار ، وليبين له أن هذا القرآن حق وصدق ، وأنه أنزل على أحرف كثيرة رحمة ولطفاً بالعباد . (٢) .

ونظراً لمكانة أبي بن كعب بين قراء الصحابة ولما يتمتع به من دقة وإتقان في التلاوة كان يخصه رسول الله ﷺ بالاستفسار والاستيثاق فقد أخرج ابن الأنباري في المصاحف عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ صلى الصبح ، فقرأ سورة الفرقان فأسقط آية فلمّا سلّم قال : « **هل في القوم أبيّ** » ؟ فقال أبيّ : ها أنا يا رسول الله ، فقال :« **ألم أسقط آية ؟** » قال : بلى ، قال : « **فلم لم تفتحها عليّ ؟** » قال حسبتها آية نسخت ، قال :« **لا ، ولكني أسقطتها** » . (٣) .

وكان أبي بن كعب لايشغله شيء عن قراءة القرآن وتعليمه ، وكان رسول الله ﷺ يكلفه بتعليم وفود العرب ومن دخل في الإسلام حديثاً تعليم القرآن والتفقه في الدين .

وكان أبي يقول : أما أنا فأقرأ القرآن في ثماني ليال . وهي القراءة المثلى لمن أراد أن يقرأ القرآن بتدبر فيوفيه حقه في الوقوف عند وعده

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن - المشهور بتفسير الطبري - ٤١/١ ط دار المعارف .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ /٣٥٦ .

(٣) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢٣٤/٦ .

فيسأل الله ، وعند وعيده فسيتعيذ بالله من المخالفة والخذلان .

وكان بعض صحابة رسول الله أراد أن يقرأ كل ليلة (أي يختمه كل ليلة) فمنعوا ، فسألوا أن يقرءوه كل يومين فمنعوا .فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ **«لايفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث »** (١) .

وعلى الرغم أن أبي بن كعب لم يغادر المدينة ، وكانت مدرسته فيها وتلاميذه من أهلها إلا أن قراءته انتشرت في أقطار بلاد الشام . وكان عمر بن الخطاب قدرشحه مع آخرين للذهاب إلى الشام وإقراء الناس فيها .

عن محمد بن كعب القرظي قال : لما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان أن أهل الشام قد كثروا وربلوا (٢) وملؤوا المدائن ، احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم ، فأعنّي ياأمير المؤمنين برجال يعلمونهم ، فدعا عمر أولئك الخمسة (٣) . فقال لهم : إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين ، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم ، إن أحببتم فاستهموا ، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا فقالوا : ماكنا لنتساهم ، هذا شيخ

---

(١) رواه أبوداود باب تحزيب القرآن ٢/١١٥ ، والترمذي أبواب القرآن ٤/٢٦٦ .
وانظر عادات السلف في ختم القرآن في التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٣٠ ومابعدها .

(٢) ربلوا : أي كثر عددهم ونموا ، أو كثر أولادهم وأموالهم . لسان العرب ١١/٢٦٤

(٣) هم :أبو أيوب الأنصاري ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبوا الدرداء .

كبير (لأبي أيـوب) ، وأما هـذا فسـقيـم (١) (لأبي بن كـعب) فخـرج معـاذ وعبـادة وأبو الدرداء (٢) .

وبقي أبـي بن كعب في المديـنة إلي أن توفاه الـله سبحانه وتـعالى زمن عثمان بن عفان رضي الله عنهما .

---

(١) روى أبونعيم في الحلية بسنده عن أبي بن كعب أنه قال : يارسول الله ماجزاء الحمى ؟ قال : تجري « **الحسنات على صاحبها مااختلج عليه قدم ، أو ضرب عليه عرق** » فقال أبي بن كعب : اللهم إني أسـألك حمى لاتمنعني خروجاً في سبيلـك ، ولا خروجاً إلى بيتك ، ولامسجد نبيك . قال : فلم يمس أبي قط إلا وبه حمى . الحلية ١/٢٥٥ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١١٤ .

المبحث الرابع

أبي بن كعب والمصحف

كان أبي بن كعب قارئا كاتبا قبل إسلامه لذا استعان به رسول الله ﷺ في كتابة الوحي ، ومراسلاته الخاصة والعامة .

ولما برزت الحاجة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى جمع القرآن في مكان واحد خوف ضياع شيء منه بتلف القطع المختلفة التي كتب عليها وموت حفظته في المعارك أسندت مهمة جمع القرآن إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه لأنه كان شاباً جلداً عاقلاً غير متهم يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، رأى زيد بن ثابت أنه لا يستغني عن مساعدة كبار الصحابة الذين لهم باع في حسن التلاوة وجودة الحفظ وخبرة المران على الكتابة فكان أبي بن كعب من المرشحين لهذه المهمة العظيمة التي يقول عنها زيد بن ثابت : لو كلفوني نقل جبل من مكانه لكان أهون عليّ من جمع القرآن .

فكان أبي بن كعب يتولى الإملاء على الكتبة . أخرج عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند ، وابن الضريس في فضائله ، وابن أبي داود في المصاحف وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل والخطيب في تلخيص المتشابه والضياء في المختارة من طريق أبي العالية عن أبيّ بن كعب : أنهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة أبي بكر ، فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبيّ ابن كعب حتى انتهوا إلى هذه الآية في سورة براءة : ﴿ **ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ فظنوا أن هذا آخر ما نزل من

القرآن ، فقال أبيّ بن كعب : إن النبي ﷺ قد أقرأني بعد هذا آيتين ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ فهذا آخر ما نزل من القرآن ، قال : فختم الأمر بما فتح به بلا إله إلا الله ، ويقول الله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . (١)

وليس في هذه الرواية ما يدل عى أن أبيًا انفرد بإثبات الآيتين بل كان ما يؤخذ منها أن بعض الكاتبين لم يكن حافظاً للآيتين ، أو لم يطلع عليهما مكتوبتين من قبل كتاب الوحي .

فقد روى البخاري حديث تكليف زيد بن ثابت بجمع القرآن في عهد أبي بكر ، وفي آخره يقول زيد بن ثابت : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف (٢) وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة (٣).

جمع العلماء بين قول أبيّ بن كعب السابق وبين قول زيد بن ثابت ، أن الآية كانت معروفة لدى الصحابة رضوان الله عليهم ولم توجد مكتوبة عند أحد في رقاعهم ومصاحفهم الخاصة سوى أبا خزيمة الأنصاري .

---

(١) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣٣١/٤.

(٢) العُسْب : جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض .

اللخاف : جمع لخفة ، الحجارة البيض الرقيقة .

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب الأحكام ١١٩/٨ .

ومن المعلوم أن المشرفين على الجمع في عهد أبي بكر كانوا لا يكتبون في المصحف آية إلا إذا تطابقت الأمور التالية في النص الكريم :

- حفظ المشرفين على الجمع وبخاصة أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت .

- مطابقته للمكتوب الذي كتبه كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وهو ما يطلق عليه بالجمع الأول في عهد رسول الله ﷺ إلا أنه لم يكن مجموعاً في مكان واحد ، وعلى قطع متماثلة .

- حفظ الشخص الذي يأتي بالآيات .

- أن تكون هذه الآيات التي يأتي بها مكتوبة عنده .

- أن يشهد شاهدان على أن الآيات كتبت بين يدي رسول الله ﷺ .

فإذا تضافرت هذه الأمور الخمسة دونت في المصحف ، وإلا اعتبرت قراءة منسوخة . (١)

وهذا أقصى ما يمكن أن يصل إليه الجهد البشري في التوثيق والضبط وهو مما هيأه الله سبحانه وتعالى لتحقيق وعده ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر :٩] .

وانتهى جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق على أحسن مايرام .

---

(١) انظر في ذلك كتاب علوم القرآن للدكتور عدنان محمد زرزور ص ٨٩ .
والبيان في مباحث من علوم القرآن للشيخ عبدالمجيد الغزلان ١٨٠ وما بعدها .

وكتب في مصحف ووضع في بيت الخليفة الراشد ثم انتقل المصحف بعد وفاة أبي بكر إلى بيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فوضعه عند ابنته أم المؤمنين حفصة .

وكانت العمدة في نشر القرآن والعلوم الإسلامية عامة التلقي والمشافهة . ومن النادر أن يعتمد بعض الصحابة على الكتابة في تثبيت علومهم وكانت وصية رسول الله ﷺ لهم ماثلة أمام أعينهم : « **من كتب عني غير القرآن فليمحه** » (١) . وكانت مصاحف بعض الصحابة الخاصة بهم مصدراً لتناقل كتابة المصاحف في الأقطار على الحرف الذي تلقاه الصحابي من الرسول ﷺ شفوياً ودونه في مصحفه الخاص .

فانتشرت قراءة عبدالله بن مسعود وحرفه الذي تلقاه من رسول الله ﷺ في العراق وما والاها من الأقطار الإسلامية . وانتشرت قراءة أبي بن كعب وحرفه الذي تلقاه من رسول الله ﷺ في بلاد الشام وماوراءها . ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثرت الفتوح واشترك فيها المسلمون في نشر الإسلام في الأقطار . كان من البدهي أن تتلاقح الأفكار والمعلومات عند اجتماع الجيوش وتبادل الخبرات والثقافات والمعلومات وكان من جملة مايتذاكر به الناس أمر التلاوة وقراءة القرآن وحدث أن اجتمعت جيوش العراق والشام ، في فتح أذربيجان وأرمينيا وظهر للعيان اختلاف حرف ابن مسعود عن حرف أبي بن كعب في قراءة القرآن فصار يخطيء بعضهم بعضاً في قراءته .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/١٢ ، ومسلم ٨ /٢٢٩ .

وكان سبب هذا الخلاف :

١ - جهل كثير من عامة الناس نزول القرآن على سبعة أحرف كلها كافية شافية وأنها للتيسير على الناس . وأنهم بالخيار في قراءة القرآن على أي حرف منها .

٢- تمسك أهل كل قطر بقراءة الصحابي الذي نقلت عنه إلى درجة التعصب .

٣ - عدم وجود مصحف إمام يرجعون إليه عند الاختلاف .

ولما قدم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى عاصمة الخلافة الراشدة ، دخل على عثمان بن عفان فزعاً من هذا الاختلاف الذي رآه بين المسلمين في قراءة القرآن وقال له : ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في كتاب ربهم اختلاف اليهود والنصارى .

وبعد استشارة كبار الصحابة رضوان الله عليهم في هذا الأمر الخطير اجتمعت الكلمة على جمع القرآن على حرف قريش وكتابة نسخ من المصحف الإمام وإرسالها إلى الأقطار وإرسال قاريء مع كل مصحف ليقريء الناس على حرف قريش وأمر بإحراق المصاحف التي تخالف في الرسم المصحف الإمام .

وكان لابد من القيام بمهمة الجمع والكتابة قراء الصحابة وأئمتهم في العلم ، وكان من رحمة الله عز وجل بهذه الأمة أن يبقى على قيد الحياة أمثال زيد بن ثابت وأبي بن كعب ليتولوا أمر هذه المهمة الضخمة وليتحقق بهم وعد الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . فحفظ كتابه يكون بتهيئة الأسباب والظروف

والرجال الذين يعكفون على خدمته ونشره ورعاية شؤونه .

فكان أبي بن كعب من الذين اشتركوا في هذا الجمع أيضاً (١) . ومن الذين تركوا الحروف التي خالف فيها حرف قريش . ولكن كتب الروايات تنقل قراءات عن أبي بن كعب ، وتنقل أخباراً عن ترتيب مصحفه الخاص غير مانجده في المصحف الإمام . ورأينا أن كل ذلك كان قبل جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان ، وكما قلنا سابقاً فإن قراءة أبي كانت قد انتشرت في بلاد الشام قبل هذا الوقت .

وليس من المقبول أن يشارك أبي بن كعب في جمع القرآن على حرف قريش ثم يحافظ على مصحف خاص به يخالف رسم المصحف الذي ساهم في جمعه وكتابته أو يحتفظ بقراءة مخالفة لحرف قريش الذي جمع عليه المصحف الإمام .

ولو كان له رأي مخالف في الجمع لأبداه ، وهو المعروف بجرأة الرأي ومقالة الحق كما يظهر لنا من مواقفه عندما كان يأخذ القارئين المخالفين لقراءته إلى رسول الله ﷺ ليتثبت من صحة القراءة (٢) .

وما كان يجابه كبار الصحابة من أمثال عمر بن الخطاب عندما يتعلق الأمر بمخالفة في القراءة أو الرأي :

فقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن عدي عن أبي مجلز أن أبيّ بن كعب قرأ ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ [المائدة : ١٠٧] قال عمر : كذبت قال : أنت أكذب ، فقال رجل : تكذب أمير

---

(١) انظر كتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود السجستاني ص ٣٣ .

(٢) انظر ماتقدم من الروايات في ذلك ص ٩٦ .

المؤمنين ؟ قال : أنا أشد تعظيماً لحق أمير المؤمنين منك ، ولكن كذبته في تصديق كتاب الله ولم أصدق أمير المؤمنين في تكذيب كتاب الله ، فقال عمر : صدق . (١)

وفيما يلي نذكر جملة من الروايات التي تشير إلى قراءة أبيّ ومصحفه الخاص وكلها تدل على ماذهبنا إليه أنها كانت قبل جمع القرآن في عهد عثمان : ذكر ابن أبي داود في كتاب المصاحف :

أن أبا الدرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ، ومعهم المصحف الذي جاء به أهل دمشق ليعرضوه على أبيّ بن كعب ، وزيد ابن ثابت ، وعلي وأهل المدينة ، فغدوا يوماً على عمر بن الخطاب ، فلما قرأوا هذه الآية :

﴿ **إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** - [ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام] - **فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الفتح :٢٦] فقال عمر : من أقرأكم ؟ قالوا : أبيّ بن

---

(١) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٢٦/٣ .

والمقصود بكذبت : أخطأت ، ومن المعلوم أن في كلمة (الأوليان) قراءتان متواترتان الأولى : بفتح الهمزة وتسكين الواو وفتح اللام وكسر النون مثنى أولى وهي قراءة الجمهور ، وكانت قراءة أبيّ بن كعب .

والثانية : بتشديد الواو وكسر اللام وإسكان الياء وفتح النون جمع (أوّل) وهي قراءة أبي بكر وحمزة ، وكانت قراءة عمر بن الخطاب .

انظر كتاب الإقناع في القراءات السبع لابن بادش ٦٣٦/٢ ، وكتاب البدور الزاهرة للقاضي /٩٨ ، والكشف لمكي ٤٢٠/١

كعب ، فقال لرجل من أهل المدينة : ادع إليّ أبي بن كعب ، وقال للرجل الدمشقي : انطلق معه ، فذهبا ، فوجدا أبيّ بن كعب يهنأ بعيراً له بيده،فسلما عليه ، ثم قال له المدني : أجب أمير المؤمنين عمر ، فقال أبي : ولم دعاني أمير المؤمنين ؟ فأخبره المدني بالذي كان ، فقال أبيّ للدمشقي : ماكنتم تنتهون معشر الركب أو يشتد فيّ منكم شر ، ثم جاء إلى عمر وهو مشمر والقطران على يديه ، فلما أتى عمر ، قال لهم عمر : اقرأوا فقرأوا .

- ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام - فقال أبيّ : أنا أقرأتهم ، فقال عمر لزيد : اقرأ ، فقرأ زيد قراءة العامة ، فقال : اللهم لاأعرف إلا هذا فقال أبيّ : والله ياعمر ، إنك لتعلم أني كنت أحضر ويغيبون ، وأدنو ويحجبون ويصنع بي ، والله لئن أحببت لألزمن بيتي ، فلا أحدث أحدًا بشيء (١) ولا أقرئ أحدًا حتى أموت ، فقال عمر : اللهم غفرانك ، لتعلم أن الله قد جعل عندك علماً ، فعلّم الناس ماعلمت » .

وكان عمر بن الخطاب يشهد لأبيّ بن كعب بالتقدم والسبق في القراءة مع تحفظ في قراءاته الخاصة التي كان يخالف فيها العامة - الجمهور - :

ففي الصحيح عن عمر بن الخطاب قال : أقرؤنا أبيّ ، وأقضانا علي ، وإنا لندع كثيرا من قراءة أبيّ وذلك لأن أبيّا يقول : لاأدع شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ، وقد قال الله : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا

---

(١) كتاب المصاحف ١٧٥ ، وتتمة الرواية من نسخة أخرى من المصاحف ص١٥٥.

﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (١) .

ومما يدل على أن أبيًا قد التزم قراءة العامة وترك مصحفه وقراءاته الخاصة به مارواه ابن أبي داود في المصاحف قال : حدثنا عبدالله قال : حدثنا أبو الربيع قال : أخبرني ابن وهب أخبرني عمرو قال قال بكير حدثني بسر بن سعيد ، عن محمد بن أبيّ أن ناساً من أهل العراق قدموا إليه فقالوا : إنما تحملنا إليك من العراق ، فأخرج لنا مصحف أبيّ ، قال محمد قد قبضه عثمان ، قالوا سبحان الله أخرجه لنا قال قد قبضه عثمان (٢) .

---

(١) صحيح البخاري ٨٣/٣ ، فتح الباري ١١٨/٨ .

(٢) المصاحف ، لأبي بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ص٣٢ .

المبحث الخامس

نماذج من قراءات أبي بن كعب وتفسيره

لقد تقدمت الرواية التي فيها قراءة أبيّ لآية الفتح (١) .

- وقد روى أبوبكر بن أبي داود السجستاني في كتاب المصاحف بسنده إلى سعيد بن جبير أنه قرأ ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ - **إلى أجل مسمى-** ﴾ [النساء : ٢٤] وقال : هذه قراءة أبيّ بن كعب .

- وعن حماد قال : قرأت في مصحف أبيّ « **للذين يقسمون** » ، وقال ابن أبي داود مصحفنا فيه ﴿ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ [البقرة:٢٢٦] .

أي في قوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .. ﴾ الآية .

- وعن حماد أيضاً قال : وجدت في مصحف أبيّ ﴿ **فلا جناح عليه ألاّ يطوف بهما** ﴾ . وقراءة الجمهور كما هو رسم المصحف ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا .. ﴾[البقرة /١٥٨] .

- وعن الربيع قال : كانت قراءة في قراءة أبي بن كعب « **فصيام ثلاثة أيام متتابعات في كفارة اليمين** » (٢) .

---

(١) انظر ماتقدم ص١٠٢ .

(٢) انظر هذه الروايات في كتاب المصاحف ص ٦٣ ، ٦٤ .

وكما قلنا سابقا : إن هذه الروايات ممانقل عن أبي بن كعب شفاها قبل جمع القرآن على حرف قريش في عهد عثمان بن عفان . أو مما نسخه الناس من مصحف أبي بن كعب قبل هذا الجمع وقبل حرق مصحفه . فبقي ينسب إلى أبي ومصحفه فيما بعد باعتبار أصل النقل . والله أعلم .

وهي آية المائدة في قوله تعالى ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ [الآية :٨٩] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرأ ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا من قد سلف** ﴾ وقراءة العامة ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (١) [النساء :٢٢] .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرأ ﴿ **فاقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا** ﴾ ولا يقرأ ﴿ **إن خفتم** ﴾ وهي في مصحف عثمان ﴿ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ (٢) [النساء : ١٠١] .

---

(١) انظر الدر المنثور ٢/٤٧٠ .

(٢) المرجع السابق ٢/٦٥٦ .

نماذج من تفسير أبيّ بن كعب لآيات من القرآن الكريم :

أما تفسير أبي بن كعب لآيات القرآن الكريم ، فقد كان لحضوره المشاهد وصحبته لرسول الله ﷺ أثر في تفسيره ، فنجده يفسر بعض الآيات على ضوء سبب النزول .

– فقد نقل ابن جرير والحاكم في تفسير قوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

قال أبيّ : لما قدم رسول ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لايبيتون إلا بالسلاح ، ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لانخاف إلا الله ؟ فنزلت الآيات . (١) .

– وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٤] قال أبيّ : لما نزلت الآية في سورة البقرة في عُدد من عدد النساء ، قالوا : قد بقي عدد من عُدد النساء لم يذكرن ، الصغار والكبار وأولات الأحمال ، فأنزلت (٢) .

---

(١) انظر تفسير ابن جرير جـ ١٨ ص ١٢٢. والمستدرك للحاكم ٢/٤٠١ .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي ٤٣٧ بتحقيق عصام الحميدان ، ولباب النقول للسيوطي ٢٣٧ .

التفسير بالسنة النبوية :

وكان أبيّ بن كعب يفسر كثيراً من آيات القرآن الكريم بالسنة النبوية إما تصريحاً بإسناد الحديث إلى رسول الله ﷺ ، أو تضمين كلامه حديث رسول الله ﷺ من غير نسبته إلي رسول الله ﷺ .

- فقد أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مرديه والخطيب والضياء في المختارة عن أبيّ بن كعب قال : سألت النبي ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : هو مسجدي هذا (١) .

- وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني وابن مردويه واللالكائي والبيهقي في كتاب الرؤية عن أبيّ بن كعب أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ ، قال : الذين أحسنوا أهل التوحيد ، والحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله . (٢)

- وأخرج ابن أبي شيبة عن أبيّ قال في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ... ﴾ الآية ، [التوبة : ١٨]. إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم ، فالدمار عليكم . (٣)

- وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبيّ بن كعب قال : لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن .

---

(١) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٤/٢٨٧ .

(٢) المرجع السابق ٤/٣٥٧ .

(٣) المرجع السابق ٤/١٤٣ .

ولكن قولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، ونعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به . (١) وذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

- وأخرج ابن أبي حاتم عن أبيّ بن كعب قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب .

والنهي عن سب الريح جاء في الحديث النبوي كما في قوله عليه الصلاة والسلام في رواية الترمذي والنسائي عن أبيّ بن كعب : لا تسبوا الريح فإنها من روح الله وسلوا الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وتعوذوا بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به . (٢)

التفسير بالفهم المستند إلى عمومات الإسلام :

وكان أبيّ بن كعب رضي الله عنه يفسر القرآن الكريم على ضوء عمومات القرآن الكريم وهداياته المتبادره إلى الفهم .

- فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبيّ بن كعب في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ... ﴾ الآية [آل عمران :١٠٦] ، قال: صاروا فرقتين يوم القيامة ، يقال لمن اسود وجهه ﴿ أكفرتم بعد

(١) المرجع السابق ٣٩٦/١ .

(٢) انظر الجامع الصحيح للترمذي ، أبواب الفتن عن رسول الله ، ٣٥٥/٣ ، مسند الإمام أحمد ، ٤٠٩/٢ ، مع اختلاف في السياق .

إيمانكم ﴾ فهو الإيمان الذي كان في صلب آدم حيث كانوا أمة واحدة . وأما الذين ابيضت وجوههم فهم الذين استقاموا على إيمانهم وأخلصوا له الدين ، فبيّض الله وجوههم ، وأدخلهم في رضوانه وجنته . (١)

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبّي بن كعب ، قال : لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثم قال ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٢) [آل عمران : ١١٠] .

– وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن المنذر وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن أبّي بن كعب ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ قال : مع كل صنم جنية . (٣) .

---

(١) جامع البيان ٤/٢٧ .

(٢) الدر المنثور ٢/٢٩٤ .

(٣) المرجع السابق ٢/٦٨٦ .

المبحث السادس

أبي بن كعب وحديث فضائل سور القرآن

لما كان لأبي بن كعب شهرة عظيمة في قراءة القرآن ونشره ، فقد وضع بعض الوضاعين حديثاً طويلاً جداً في فضائل سور القرآن سورة سورة . ومن المعلوم أن هنالك أحاديث صحيحة في فضائل بعض سور القرآن ولكن لاتوجد أحاديث في فضل كل سورة .

روى السيوطي عن مؤمل بن إسماعيل قال: حدثني شيخ بفضائل سور القرآن الذي يروى عن أبي بن كعب ، فقلت للشيخ من حدثك ؟ فقال : حدثني رجل بالمدائن وهو حي ، فسرت إليه ، فقلت : من حدثك ؟ قال : شيخ بواسط ، وهو حي ، فسرت إليه ، فقال : حدثني شيخ بالبصرة ، فسرت إليه ، فقال : حدثني شيخ بعبادان ، فسرت إليه ، فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً ، فإذا فيه قوم من المتصوفة ، ومعهم شيخ ، فقال : الشيخ ، فقلت : ياشيخ من حدثك ؟ فقال : لم يحدثني أحد ، ولكن رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن ، فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن (١) .

وفيما يلي نسوق مقتطفات من هذا الحديث الموضوع لأخذ فكرة عنه وعن عدم انسجامه مع مباديء الإسلام العامة :

« أخبرنا الشيخ أبوعبدالله محمد بن المنتصر رحمه الله قال : حدثنا أبوأحمد محمد بن أحمد الغطريف بجرجان قال : حدثنا أبو

(١) الإتقان ٢/١٥٥ ط المكتبة الثقافية .

الفضل العباس بن حماد بن فضالة بالبصرة قال : حدثنا يحيى بن حبيب بن عدي قال : حدثنا يوسف بن عطية الباهلي أبو المنذر ، قال : حدثنا هرمز بن كثير ، قال : حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبّي بن كعب ، أن جبريل أتى النبي صلوات الله عليه وسلامه ..قال : «..يامحمد آت أبّياً وأقرئه مني السلام واقرأ عليه القرآن فأتى رسول الله ﷺ أبّياً ، فقال : إن جبريل يقرئك السلام ، فقال أبي : عليه وعليك السلام يارسول الله ، فقال رسول اله ﷺ : إن جبريل أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، فقرأه عليه في تلك السنة التي قبض فيها مرتين قال أبّي : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، أما إذا كانت تلك خاصة قراءة القرآن فخصني بثوب القرآن مما علمك الله ، وأعلمني وأطلعني عليه ، فقال : نعم أفعل إن شاء الله ، ثم قال ﷺ : أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كمن قرأ ثلثي القرآن ، وأعطي من الأجر كمن تصدق على كل مؤمن ومؤمنة .ومن قرأ سورة البقرة فصلوات الله عليه ورحمته ، ثم أعطي من الأجر كالمرابط في سبيل الله سنة لاتسكن روعته ، وقال : ياأبي مر المسلمين يتعلمون السورة التي تذكر فيها البقرة « فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ، ولاتستطيعها البطلة ، قلت : يارسول الله وما البطلة ؟ (١) . قال: « السحرة » .ومن قرأ آل عمران أعطي بكل آية منها أماناً على جسر

---

(١) من خبث الوضاعين أن يوردوا بعض الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله الثابتة عند المحدثين كالحديث في فضل سورة البقرة (**فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ، ولاتستطيعها البطلة ..**) وفي فضل سورة الأنعام ..، ثم يزيدوا فيها ماشاءوا ، وذلك ليجعلوها طعماً لقبول باقي كلامهم المتهافت .

جهنم . ومن قرأ سورة النساء أعطي من الأجر كأنما تصدق على كل من ورث ميراثا ، وأعطي من الأجر بعدد من اشترى محررا ، وبريء من الشرك ، وكان من شيعته التي يتجاوز عنهم .ومن قرأ المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ، ومحي عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا .

(وقال رسول الله ﷺ : نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة ، وشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد) ، فمن قرأ الأنعام استغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية يوماً وليلة ، وصلى الله عليه . ومن قرأ الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً ، وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة ، ومن قرأ الأنفال وبراءة فأنا شفيع له وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا . ومن قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من كذّب يونس وصدّق به أو صدقه ، وبعدد من غرق مع فرعون . ومن قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً وشعيباً وإبراهيم وموسى صلوات الله عليهم ، وكان عند الله يوم القيامة من الشهداء .وقال النبي ﷺ : علموا أرقاءكم سورة يوسف ، فأيما مسلم تعلم سورة يوسف وتلاها وعلمها ماملكت يمينه وأهله هوّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه قوة أن لايحسد مسلماً (١) .

(١) انظر الرواية بكاملها في كتاب (مقدمتان في علوم القرآن ص٦٤ نقلاً عن كتاب أبي ابن كعب الرجل والمصحف /٤٢ .

وهكذا يسرد الوضاعون فضائل كل سورة إلى أن يأتوا إلى آخر سور القرآن ومن المؤسف أن ينقل بعض المفسرين مثل هذا الحديث الموضوع عند تفسير كل سورة مايتعلق بها في بدايتها كما فعله أبوإسحاق الثعلبي والواحدي .

أو في نهاية تفسير كل سورة كما فعل الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود من غير تنبيه على أنه حديث موضوع . وكان الجدير بهؤلاء الأئمة أن ينزهوا تفاسيرهم من مثل هذه الرواية المختلقة . وإن ذكروها فمن باب التحذير منها وعدم الاغترار بها .

وقد ذكر السيوطي أنه ورد في فضائل السور أحاديث مفرقة ، بعضها صحيح ، وبعضها حسن وبعضها ضعيف . وذكر في كتاب الإتقان في الفصل الثاني من النوع الثاني والسبعين ماورد من أحاديث في فضائل سور بعينها أو آيات معينة باستقصاء جيد . (١) .

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٥٣/٢ .

المبحث السابع
مدرسة التفسير بالمدينة المنورة

كانت المدينة المنورة عاصمة الخلافة الراشدة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لايسمح لكبار الصحابة بمغادرتها إلا لضرورة أو لإلحاح من بعضهم ليكونوا بطانته ومجلس شوراه في إدارة شئون الدولة وكان يقصد الحلقات العلمية فيها الراغبون في العلم من أنحاء الدولة الإسلامية .

وكان ممن يقصد في ذلك أبّي بن كعب كما تقدم وقد انتشرت قراءته وآراؤه في التفسير في بلاد الشام ، وتخرج على يده جملة من علماء التابعين وتتلمذ على أيديهم أيضاً جملة من كبار التابعين وتابعيهم .

وفيما يلي تعريف موجز بأبرز رواد مدرسة التفسير بالمدينة المنورة :

أولا : أبوالعالية الرياحي (١) :

هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي ، البصري الفقيه المقريء مولى امرأة من بني رياح بطن من تميم ، أسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين ، روى عنه قتادة قوله : قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم ﷺ بعشر سنين . أخذ القرآن عن زيد بن ثابت ، وابن عباس ، وعرضه على عمر ابن الخطاب وقرأ على أبّي بن كعب .

وروى عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم فيهم عمر وابن

---

(١) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٦٢/١ ، وخلاصة تذهيب الكمال ١١٩ وتهذيب التهذيب ٢٨٤/٣.

مسعود وعلي وعائشة كان ابن عباس يرفعه على سريره .. ويقول : هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرّة .

قال عنه ابن أبي داود : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية وذكر السيوطي في الإتقان أن ثمة نسخة كبيرة في التفسير رواها أبوجعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً ، كما أخرج منها الإمام أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه (١) . وثقه أبو حاتم وأبوزرعة وابن معين .

وقد جُمع تفسير أبي العالية من خلال كتب التفسير بالمأثور في عدة رسائل للماجستير جمعها طلاب قسم القرآن وعلومه .وهي بانتظار طباعتها ونشرها لتعم فائدتها .

توفي أبو العالية سنة / ٩٠/هـ على الأرجح (٢) .

ثانياً : سعيد بن المسيب :

هو شيخ الإسلام فقيه المدينة أبو محمد المخزومي ، رأس التابعين . ولد سنة خمس عشرة ، روى عن عمر وأبـيّ وعلي وعثمان وزيد بن ثابت وأبي هريرة وغيرهم . وكان واسع العلم جاهراً بالحق .

وقال فيه ابن عمر : هو والله أحد المقتدين بهم ، وكان يقال : ليس

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٨٩/٢ ط المكتبة الثقافية بيروت .

(٢) تذكرة الحفاظ ٦٢/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٨٤/٣ .

أحد أعلم بقضاء عمر وعثمان منه (١) كان يتحرج في القول في القرآن : روى الطبري عن ابن عمر قوله : لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير ، منهم : سالم بن عبدالله والقاسم ابن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع .

وعن يحيى بن سعيد قال : سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال : لاأقول في القرآن شيئاً .

وهذا محمول على تحرجهم فيما لاعلم لهم به ، أما الذي تلقوه عن سلفهم ، أو ما أدركوه من الدلالات اللغوية والشرعية ، فلم يتحرجوا من الكلام فيه ، وقد نقلت عنهم أقوال في التفسير .

ونقل عن ليث بن سعد ومالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال : كان يقال: ابن المسيب راوية عمر ، قال ليث ، لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته . توفي سعيد بن المسيب سنة ثلاث وتسعين وقيل أربع وتسعين (٢) .

ثالثا : محمد بن كعب القرظي :

هو محمد بن كعب القرظي المدني ثم الكوفي

روى عن أبي الدرداء مرسلاً ، وعن فضالة بن عبيد ، وعائشة وأبي هريرة وروى عن أبي بن كعب بالواسطة .

---

(١) انظر ترجمته والأقوال فيه : تذكرة الحفاظ ٥٤/١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ٣٠٨/١ والطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٠/٥ وما بعدها .

(٢) تذكرة الحفاظ ٥٤/١ ، وغاية النهاية ٣٠٨/١ .

قال فيه ابن عوف : مارأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي وقال ابن سعد : كان ثقة . ورعاً كثير الحديث .وثقه أيضاً أبوزرعة والعجلي .

مات سنة عشرين ومائة للهجرة (١) .

رابعاً : زيد بن أسلم :

هو أبوأسامة ، ويقال أبوعبدالله زيد بن أسلم العدوي ، المدني ، الفقيه مولى عمر بن الخطاب ، أدرك جماعة من الصحابة وروي عنهم منهم :ابن عمر ، وعائشة وغيرهم ، وروى عن أبي بن كعب بالواسطة حيث لم يدركه (٢) .

كانت لزيد بن أسلم حلقة للعلم بالمسجد النبوي ، يقول في ذلك أبو حازم الأعرج : لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيها ، أدنى خصلة فينا التواصي بما في أيدينا ، ومارأيت فينا متمارين ولامتنازعين في حديث لاينفعنا .

كان علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم ، فلما كلمه الناس في ذلك قال : انما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه . (٣) .

قال عنه يعقوب بن شيبة : ثقة من أهل الفقه والعلم ، وكان عالماً بتفسير القرآن غير أن ابن عيينة يذكر أنه كان في حفظه شيء .

---

(١) خلاصة تذهيب الكمال ٣٥٧ .

(٢) حلية الأولياء ٢٢٩/٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٣٢/١ ، ١٣٣ .

وقال حماد بن زيد عن عبيد الله بن عمر : لاأعلم به بأساً إلا أنه يفسر برأيه القرآن ويكثر منه (١) .

وتفسير القرآن بالرأي الذي يعتمد على شواهد ، ويقوم على الاستنباط من عمومات الشريعة ودلالات اللغة ، لمن توافرت لديه الشرائط اللازمة للمفسر أجازه المحققون ، وزيد بن أسلم ممن تلقى العلم عن صحابة رسول الله ﷺ ، والوقائع والأخبار وأسباب النزول وأحوال من نزل فيهم القرآن كل ذلك كون لديه ملكة علمية يستطيع أن يعمل رأيه فيما لم يثبت فيه عن رسول الله ﷺ وصحابته نص مأثور .

ولقد نقلت عن زيد بن أسلم جملة من الروايات التي فسر فيها الآيات الكريمة ونلحظ من تلك الروايات المنهج ذاته الذي كان يسير عليه صحابة رسول الله في تفسير القرآن الكريم .

توفى زيد بن أسلم في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة .

---

(١) المرجع السابق ١٣٣/١ ، وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٩٦/٣ .

مزايا التفسير في عصر الصحابة رضوان الله عليهم :

١ - سهولة التفسير وبعده عن التعقيد والخلافيات ، فربما اقتصر على شرح كلمة غريبة أو حكم مستنبط من الآية أو توضيح لسبب نزول ، أو شرح مجمل لمضمون الآية .

٢ - لم يتناول التفسير جميع آيات القرآن ، بل اقتصر على الآيات التي ترد أسئلة عليها لاسيما آيات الأحكام .

٣ - كان التفسير يتناقل شفاهاً ولم يُدوَّن ، وإن وجد من يكتب شيئاً منه فذاك أمر فردي خاص ، ولم تكن الكتابة ظاهرة عامة .

٤ - خلو التفسير من الإسرائيليات ، لأن كبار الصحابة كانوا المرجع في التفسير ، ولم يكن لمسلمة أهل الكتاب تلك المكانة التي يستطيعون من خلالها نشر الروايات الإسرائيلية .

٥ - بقى التفسير في هذه المرحلة شعبة من شعب الرواية ، تختلط فيها الأحكام الفقهية مع الروايات في العقائد والأخلاق والترغيب والترهيب وغير ذلك من أمور الإسلام . حيث لم تكن العلوم الإسلامية قد أخذت طابع التخصص . ولم ينفصل التفسير بتدوين مستقل إلا في مراحل متأخرة من مراحل تدوين العلوم .

فهرس الآيـــــات

الفاتحـــة

البقـــرة

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
– خذوا القرآن من أربعة .	٩٩
– خيركم من تعلم القرآن وعلمه	١٢٤
– سأل رجل رسول الله ﷺ قال : أرأيت قول الله ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ .	٢٨
– السائحون هم الصائمون .	٢٩
– صلوا أرحامكم فإنه أبقى لكم .	٦٨
– الضرار في الوصية من الكبائر .	٦٨
– ضمني رسول الله ﷺ وقال : اللهم علمه الكتاب.	٥١
– غفر الله لك يا أبا بكر ، ألست تمرض ...	٢٨
– قيل لي أنت منهم	٩٨
– كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر .	٥٣
– الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة .	٣٠
– لا تسبوا الريح فإنها من روح الله .	١٥٣
– لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات .	١١٩
– لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث .	١٣٨
– لم يمت رسول الله ﷺ حتى تركـكم على طريق ناهجة .	١٤
– اللهم اجعلها عليهم سبعاً كسبع يوسف .	١١٩
– اللهم أحش جوفه حكماً وعلماً .	٥٣
– اللهم أخسيء الشيطان عنه .	١٣٦
– اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل .	٥٣
– اللهم فقهه في الدين .	٥٢



فهرس المراجع

	الكتاب	المؤلف	دار النشر
١	أبيّ بن كعب الرجل والمصحف .	الشحات السيد زغلول	الهيئة المصرية
٢	الإتقان في علوم القرآن .	السيوطي	المكتبة الثقافية
٣	أسباب النزول .	الواحدي	دار المعرفة
٤	الاستيعاب في معرفة الأصحاب .	ابن عبدالبر	مؤسسة الحلبي
٥	أسد الغابة في معرفة الصحابة .	ابن الأثير	دار الفكر
٦	الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .	محمد أبو شهبة	مكتبة السنة
٧	الإصابة في تراجم الصحابة .	ابن حجر العسقلاني	مؤسسة الحلبي
٨	الإعجاز البياني للقرآن .	عائشة (بنت الشاطيء)	دار المعارف
٩	الإقناع في القراءات السبع .	ابن بادش	جامعة أم القرى
١٠	البداية والنهاية .	ابن كثير	مكتبة المعارف
١١	البدور الزاهرة .	عبدالفتاح القاضي	دار الكتاب العربي
١٢	البيان في مباحث من علوم القرآن .	عبدالوهاب عبدالمجيد الغزلان	جامعة الأزهر
١٣	التبيان في آداب حملة القرآن .	النووي	دار الفكر
١٤	تذكرة الحفاظ .	الذهبي	دار إحياء التراث العربي
١٥	تفسير القرآن (تفسير عبدالرزاق الصنعاني)	الإمام عبدالرزاق الصنعاني	مكتبة الرشد
١٦	تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)	ابن كثير	إحياء الكتب العربية

الكتاب	المؤلف	دار النشر
١٧ تهذيب التهذيب .	ابن حجر العسقلاني	دائرة المعارف بالهند
١٨ جامع الأصول في أحاديث الرسول .	ابن الأثير	الحلواني
١٩ جامع البيان عن تأويل القرآن .	ابن جرير الطبري	دار المعرفة
٢٠ الجامع الصحيح (صحيح البخاري)	الإمام البخاري	المكتبة الإسلامية
٢١ الجامع الصحيح (صحيح مسلم)	الإمام مسلم	دار الفكر
٢٢ الجامع الصحيح .	الإمام الترمذي	دار الفكر
٢٣ الجامع لأحكام القرآن .	القرطبي	دار الكتب
٢٤ حلية الأولياء .	أبو نعيم	السعادة
٢٥ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال .	الخزرجي	مكتبة المطبوعات الإسلامية
٢٦ الدر المنثور في التفسير بالمأثور .	السيوطي	دار الفكر
٢٧ سنن أبي داود .	الإمام أبو داود	دار المعرفة
٢٨ سير أعلام النبلاء .	الذهبي	الرسالة
٢٩ السيرة النبوية .	ابن هشام	دار المعرفة
٣٠ الطبقات الكبرى .	ابن سعد	دار صادر
٣١ عبدالله بن عباس .	رشاد دارغوث	دار النفائس
٣٢ عبدالله بن مسعود .	عبدالستار الشيخ	دار القلم
٣٣ علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) .	ابن الصلاح الشهزوري	دار الفكر
٣٤ علوم القرآن .	عدنان زرزور	المكتب الإسلامي
٣٥ غاية النهاية في طبقات القراء .	ابن الجزري	دار الكتب العلمية

	الكتاب	المؤلف	دار النشر
٣٦	فتح الباري شرح صحيح البخاري.	ابن حجر العسقلاني	دار الباز
٣٧	لسان العرب .	ابن منظور	دار صادر
٣٨	مباحث في علوم القرآن .	صبحي الصالح	دار العلم للملايين
٣٩	المستدرك .	الحاكم	مكتبة النصر الحديثة
٤٠	مسند الإمام أحمد .	الإمام أحمد بن حنبل	دار صادر
٤١	المصاحف .	ابن أبي داود	دار الكتب العلمية ، قرطبة
٤٢	المصنف .	الإمام عبدالرزاق	المجلس العلمي
٤٣	معجم مقاييس اللغة .	أحمد بن فارس	دار الجيل
٤٤	المغازي .	الواقدي	عالم الكتب
٤٥	مقدمة في أصول التفسير .	الإمام ابن تيمية	دار القرآن
٤٦	مناهج المفسرين .	محمود النقراشي السيد علي	مكتبة النهضة
٤٧	الموطأ .	الإمام مالك	دار إحياء الكتب العربية
٤٨	نزهة النظر شرح نخبة الفكر .	ابن حجر العسقلاني	مؤسسة الخافقين



فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصـفـحـة